الجامعـــــــة الإســـلاميـة – غـزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــة الآدابـــــــــــــ
ماجستير اللغـــــــة العربيـــــة

The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate
Deanship of Arts
Master of Arabic language

دلالة اللغة الصامتة في صحيح البخاري

Denote The silent language of Sahih Bukhari

إِعدَادُ البَاحِثِ

عدي عاطف محمد زعرب

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

جهاد يوسف العرجا

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالًا لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي اللغة العربية بِكُلِيةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

يونيو/2018م – شوال/1439هـ

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

دلالة اللغة الصامتة في صحيح البخاري

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

and I am aware of the ،I understand the nature of plagiarism University's policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	عدي عاطف زعرب	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:	2018/06/6	التاريخ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية غزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم: Ref: ج س غ/35/
التاريخ: Date: 2018/07/16م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **عدي عاطف محمد زعرب** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ قسم **اللغة العربية** وموضوعها:

دلالة اللغة الصامتة في صحيح البخاري

Denote The silent language of Sahih Bukhari

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الاثنين 3 ذو القعدة 1439هـ** الموافق **2018/07/16م** الساعة **العاشرة صباحا**، في قاعة مبنى **القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. جهاد يوسف العرجا	**مشرفا ورئيسا**	.....
د. يوسف جمعة عاشور	**مناقشا داخليا**	.....
د. محمد مصطفى القطاوي	**مناقشا خارجيا**	.....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية الآداب/قسم اللغة العربية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
Deanship of Research and Graduate Studies

الرقم العام للنسخة	3106640	اللغة	ع

التاريخ: 20/8/1 1

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

الطالب/ عبد عاطف محمد زعرب

رقم جامعي: 120192749 قسم: اللغة العربية كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

إدارة المكتبة المركزية

أ. محمود حمدي الدلو

160

ملخص الرسالة باللغة العربية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وبعد:

فهذه رسالة ماجستير بعنوان: (دلالة اللغة الصامتة في صحيح البخاري) تناول فيها الباحث الدلالات والتعبيرات الناتجة عن حركات أعضاء الجسد الوارادة في كتاب صحيح البخاري، ويقصد الباحث باللغة الصامتة لغة الجسد من إشارات وإيماءات وتعبيرات الوجه، وهدفت هذه الدراسة إلى جمع الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في كتاب صحيح البخاري والتي ورد فيها استعمال اللغة الصامتة، وبيان دلالات هذه اللغة في الأحاديث التي تم جمعها، فقام الباحث بدايةً بتعريف اللغة الصامتة وبيان علاقتها بالسيميائية، ثم تناول الباحث لغة العيون ووضح المقصود بها، وأظهر دلالات حركة العين المختلفة من خلال أحاديث كتاب صحيح البخاري، ثم تطرق الباحث إلى موجز عن الإشارة باليد والرجل وبيان دلالات الإشارة بكل منهما، وفي النهاية تناول الباحث تعبيرات الوجه في صحيح البخاري، وبيان دلالات حركة الرأس والوجه ،وكشفت الدراسة عن اهتمام السنة النبوية الشريفة باللغة الصامتة؛ وذلك لما لهذه اللغة من دور كبير في إقناع الآخرين والتأثير وإيصال الأفكار إليهم، وأثبتت هذه الدراسة أنَّ الكلام ليس الوسيلة الوحيدة التي نعبر بها عما يجول في خاطرنا، ففي كثير من الأحيان نعبرُ عما يجول في خاطرنا من خلال لغة العيون، أو تعبيرات الوجه أو إشارات اليد؛ من أجل إيصال معانٍ معينة قد تكون أبلغ وأكثر أثرا من النطق باللسان.

Abstract

Praise be to God, peace and blessings be upon his prophet Mohammad, either:

This master's thesis entitled (implications of silent language in sahih Bukhari) which dealt with the expressions and the implications resulted from the body organs movements that occurred in sahih Bukhari. The researcher means by the silent language, the body language which includes signs, gestures and emotions. This study aims to collect the correct prophetic hadiths in sahih Bukhari in which the using of the silent language was existed. And to express the indication of the meaning of this language in the hadiths that were collected.The researcher started to define the silent language and to shed light upon it's relations with the Semiotic. Then, the researcher talks about the eye contact and he explains it's meaning. He shows the implications of the different movements of the eyes through the hadiths in sahih Bukhari. After that, the researcher mentions briefly the hand and leg signal and their implications. Finally, it has dealt with the researcher the facial expressions in sahih Bukhari in addition to showing the implication of the head and face movement. This study shows the interests of the noble sunnah in the silent language and that's because of the high ability of this language in persuading others, affecting and communicating thoughts with them. Moreover, it proves that talking is not the only way to express our thoughts, and a lot of times we express our thoughts by the eye contact, facial expression or hand signals to communicate different meanings that is may be more effective than talking by tongue.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[التوبة: 105]

ٱلإِهدَاْءُ

❖ إلى أحق الناس بصحبتي.. أمّي

❖ إلى مَنْ يبذل كل ما يملك من أجلي.. أبي

❖ إلى أختي العزيزة وإخوتي الأعزاء

❖ إلى روح –أمي التي لم تلدني– خالتي آمال –رحمها الله–

❖ إلى عائلتي الحبيبة وجميع الأصدقاء

❖ إلى الباحثين وطلاب العلم

❖ إلى كل من حفزني وساندني ودعا لي في ظهر الغيب

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد –صلى الله عليه وسلم– وبعد.

يقول الله تعالى: ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [النحل: 53]، ويقول –أيضًا–: ﴿**وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [لقمان: 12]، فاللهم لك الحمد أولًا وآخرًا، لولا أنت ما اهتدينا ولا وُفقنا، ويقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[1]، فاعترافًا لأهل الفضل بفضلهم، وانطلاقًا من الهدي النبوي، أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساندني، وأخص بالشكر سعادة الأستاذ الدكتور: **جهاد يوسف العرجا** الذي تشرفت بقَبوله الإشراف على هذه الرسالة، والذي شجعني على المضي قدمًا في كتابة هذا الموضوع، وأشكر له على توجيهاته وملاحظاته القيِّمة، فلم يألُ جهدًا في إبداء النصح لي. فجزاه الله خيرًا.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل للأستاذين الكريمين عضوي لجنة المناقشة: فضيلة الدكتور: **يوسف جمعة عاشور** –حفظه الله–، وفضيلة الدكتور: **محمد مصطفى القطاوي** –حفظه الله– اللّذين تفضلا بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، والشكر موصول –أيضًا– لأعضاء الهيئة التدريسية الكرام بكلية الآداب الذين تتلمذت على أياديهم، فجزاهم الله خيرًا. والشكر للجامعة الإسلامية التي احتضنتني وأتاحت لي الفرصة في إكمال دراستي، وأخص العاملين في الدراسات العليا، والعاملين في المكتبة المركزية بالجامعة، والشكر لوالديّ العزيزين اللّذين ساندني معنويًّا وماديًّا، وختامًا لا أنسى أن أتقدم بالشكر لعائلتي الكريمة عائلة زعرب على ما تبذله من جهد في تكريم خريجي الجامعات وطلبة العلم وحفظة كتاب الله من أبناء العائلة سنويًّا وباستمرار، فجزاهم الله جميعًا خير الجزاء.

الباحث

عدي عاطف زعرب

([1]) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة/ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، 339/4: رقم الحديث 1954.

فهرس المحتويات

إقـــرار ..... أ

ملخص الرسالة باللغة العربية.....ب

Abstract.....ت

آية قرآنية .....ج

ٱلإهدَاْءُ..... ج

شكرٌ وتقديرٌ ..... ح

فهرس المحتويات ..... خ

مقدمة البحث 1

أولًا- أهمية الموضوع:..... 1

ثانيًا- أسباب اختيار الموضوع:..... 2

ثالثًا- أهداف الموضوع:..... 2

رابعًا- الدراسات السابقة: 3

خامسًا- منهج الدراسة:..... 4

سادسا- خطة البحث:..... 4

التمهيد: مفهوم اللغة الصامتة وعلاقتها بالسيميائية..... 9

أولًا- اللُّغةُ لغةً:.....10

ثانيًا-اللغةُ اصطلاحًا:.....11

ثالثًا- الصمتُ لغةً:.....13

رابعًا- الصمت اصطلاحًا: 15

خامسًا- مفهوم اللغة الصامتة:.....16

سادسًا- السيمياء لغة:.....17

سابعًا-السيمياء اصطلاحًا:.....18

ثامنًا-العلاقة بين اللغة الصامتة والسيميائية:.....20

الفصل الأول: دلالة حركة العين.....21

التمهيد: لغة العيون 21
المبحث الأول: دلالة البكاء.....24
المبحث الثاني: دلالات أخرى لحركة العين 34
الفصل الثاني: دلالة حركة اليد والرجل.....39
التمهيد: موجز عن الإشارة باليد.....39
المبحث الأول: دالة الإشارة باليد.....41
المبحث الثاني: دلالات أخرى للإشارة باليد 53
المبحث الثالث: دلالة حركة الرجل 61
الفصل الثالث: دلالة حركة الرأس والوجه 66
التمهيد: مقدمة عن تعبيرات الوجه.....66
المبحث الأول: حركة الرأس والوجه للدلالة على الغضب.....67
المبحث الثاني: حركة الرأس والوجه للدلالة على الخوف والحزن والسرور 73
المبحث الثالث: دلالات أخرى لحركة الرأس والوجه.....78
الخاتمة 84
النتائج والتوصيات: 84
المصادر والمراجع.....87
الفهارس العامة.....94
فهرس الآيات القرآنية.....95
فهرس الأحاديث الشريفة.....96
فهرس الأبيات الشعرية 102

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد –صلى الله عليه وسلم–، الذي أمرنا الله –تعالى– بامتثال أمره ولزوم طاعته، وحذرنا من عصيانه ومخالفته، فقال سبحانه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]، أما بعد.

فإنّ صحيح البخاري من أهم المصنَّفات في الحديث النبوي الشريف؛ بل عدّه العلماء بأنه أصحُّ كتاب بعد كتاب الله –عز وجل–؛ لما يحتويه من أحاديث منسوبة للنبي –صلى الله عليه وسلم– هي من أعلى درجات الصحة والتي لا يُشكُّ أبدًا في صحتها.

لذا، انكبَّ العلماء والباحثون وطلبة العلم ينهلون من هذا المصنّف ويدرسونه فقهيًّا، وعقديًّا، ولغويًّا، ونحويًّا، وغير ذلك، وتعددت شروحاته، وكثرت الأبحاث العلمية التي تناولته في شتى المجالات والفنون، حتى أصبح من الصعب الآن أن نحصي جميع الدراسات التي تعلقت به واعتمدت عليه.

من هنا، فقد جاءت هذه الدراسة لتتناول جانبًا جديدًا في كتاب صحيح البخاري في دراسة جديدة متواضعة، عنونتها بـ **(دلالة اللغة الصامتة في صحيح البخاري)**؛ فقد عملت على تجميع كل الأحاديث التي تحتوي على دلالات لغوية صامتة من كتاب صحيح البخاري، وقصدت باللغة الصامتة: لغة الجسد وتعبيرات الوجه والعيون واليدين والأرجل ودلالاتها.

وهذا جهد مقل في إثراء المكتبة العربية بموضوع عصري جديد، أرجو به عفو الله وثوابه، والله ولي التوفيق.

وسأبين فيما يأتي: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

أولًا– أهمية الموضوع:

يعد هذا الموضوع من الموضوعات الجديدة في طريقة البحث العلمي، ويعدُّ تطويرًا لمسيرته بما يتناسب والحياة البشرية التي تتطور، ولا تقف عند حد معين.

([1]) [الحشر: 7].

تستعرض هذه الدراسة الوظيفة الدلالية للغة الصامتة بوصفها من أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين بني البشر.

وتدلل هذه الدراسة على أن الكلام ليس الوسيلة الوحيدة التي نعبر بها عن أنفسنا، فهناك ما يعرف باللغة الصامتة، فكثيرًا ما نتحرك ونعبر عما نقول بحركات وإيماءات معينة في أثناء الحديث مع الآخرين، وكثيرون يأتون بحركات لا إرادية قد تكون لافتة، وقد لا نلاحظها بوضوح، فحينما تتصل بالآخرين فإنك تتصرف بطريقتين للتعبير، وهما: الكلام والإيماء.

لقد حظيت اللغة الصامتة بنصيب وافر من اللوحات التعبيرية والجمالية في لغة الخطاب النبوي في الحديث الشريف.

ثانيًا– أسباب اختيار الموضوع:

- الرغبة في خدمة علم اللغة، وبيان الموضوعات الجديدة التي تتعلق بهذا العلم.
- لفت انتباهي وجود أحاديث كثيرة في صحيح البخاري تحمل دلالات لغوية صامتة غير لفظية لها معاني عديدة ومتنوعة، فدفعني ذلك بكل حماسة إلى دراسة هذه الأحاديث وتحليلها وبيان تلك الدلالات ومعانيها المختلفة.
- حاجة المكتبة العربية إلى بحث علمي محكم، يتناول الموضوع من جوانبه المختلفة، ويجمع شتاته.

ثالثًا– أهداف الموضوع:

- الرغبة في دراسة الحديث الشريف دراسة لغوية؛ لنيل شرف خدمة حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.
- بيان وعرض آراء العلماء في الألفاظ النبوية التي تحمل دلالات ووظائف لغوية صامتة.
- إفراد دراسة متخصصة تتعلق بدلالة اللغة الصامتة من خلال التطبيق على الحديث الشريف؛ لأنه –كما أعلم– لم يعرض هذا الموضوع من الجانب الاستقرائي التطبيقي.

رابعًا- الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الكتب والرسائل المُؤَلَّفة والمتعلقة بدراسة الحديث الشريف -وخاصة صحيح البخاري- لغويًّا ونحويًّا، غير أني لم أقف على موضوع مستقل يدرس اللغة الصامتة في الحديث الشريف؛ إلا أن هناك دراسات تناولت الموضوع وطبقته على القرآن الكريم، ومن هذه الدراسات:

1- **توظيف اللغة الصامتة في التعبير القرآني**[1]: يستعرض هذا البحث الوظيفة الدلالية القرآنية للغة الصامتة بوصفها من أهم وسائل الاتصال بين بني البشر.

2- **لغة الجسد في القرآن الكريم**[2]: تبحث هذه الدراسة في لغة الجسد في القرآن الكريم، وتستعرض وتحلل الأدلة القرآنية التي تثبت أن القرآن الكريم تحدَّث عن هذا الموضوع، وتناوله بشيء من التأصيل والعمق.

3- **الاتصال الصامت وعمقه التأثيري في الآخرين (في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية)**[3]: ويتكلم البحث عن الاتصال الصامت ومدى تأثيره في الآخرين؛ حيث تكلّم عن أنواع الاتصال، وهي: الناطق والصامت، وعن الدلالات المستفادة من الاتصال الصامت، وما يُحدثه هذا الاتصال من تأثير في الآخرين. وذكر شواهد قرآنية وأخرى من السنة النبوية للتدليل على ذلك.

وهناك مؤلفات أخرى مشابهة لهذا الموضوع، منها: كتاب البيان بلا لسان للدكتور مهدي عرار. وكتاب لغة التعبير بالجسد للكاتب نبيل راغب، وكتاب أسرار لغة الجسد للكاتبة ليلى شحرور.

وقد انصبَّ جهدي في هذه الدراسة على استقصاء الأحاديث النبوية في صحيح البخاري التي تبرز فيها اللغة الصامتة مع بيان دلالاتها وتأثيرها في الآخرين، معتمدًا على شرح هذه الأحاديث وتفسيرها؛ لإبراز دور اللغة الصامتة في الحديث النبوي الصحيح.

---

(1) هذه الدراسة عبارة عن بحث علمي محكَّم للدكتور خميس فزاع عمير من جامعة الأنبار في العراق، إشراف الدكتور: رمضان عبدو دمير من جامعة 18 مارس، د.ت.

(2) رسالة ماجستير، إعداد الباحث: أسامة جميل ربايعة، إشراف الدكتور: عودة عبد الله، نوقشت وأجيزت في جامعة النجاح الوطنية في نابلس بتاريخ 2010/1/20م.

(3) بحث علمي محَّكم للدكتور عودة عبد الله، وقد نُشِر في مجلة المسلم المعاصر بالقاهرة سنة 2004م.

خامسًا- منهج الدراسة:

تركز الدراسة على وظائف اللغة الصامتة ودلالاتها، وتطبيق ما تُوصِّل إليه نظريًّا على الحديث النبوي الصحيح؛ لذا اقتضت طبيعة البحث الاعتماد على المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والبحث والنظر والتحليل في الأحاديث النبوية في صحيح البخاري، من خلال استخراج الأحاديث التي تحتوي إشارات غير لفظية، وعرضها بأسلوب سهل وميسر من خلال استخراج الدلالات والمعاني التي تحملها، كل في موضعه المناسب، ثم معرفة آراء العلماء فيها من خلال المصادر القديمة والحديثة.

سادسا- خطة البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهارس، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة:

وتشمل:

أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد

مفهوم اللغة الصامتة وعلاقتها بالسيميائية

ويشتمل على:

- أولًا: اللغة لغةً.
- ثانيًا: اللغة اصطلاحًا.
- ثالثًا: الصمت لغةً.
- رابعًا: الصمت اصطلاحًا.
- خامسًا: مفهوم اللغة الصامتة.
- سادسًا: السيمياء لغة.

- سابعًا: السيمياء اصطلاحًا.
- ثامنًا: العلاقة بين اللغة الصامتة والسيميائية

الفصل الأول

دلالة حركة العين

وينقسم إلى تمهيد ومبحثين:

- **التمهيد:** لغة العيون.
- **المبحث الأول:** دالة البكاء.

وينقسم إلى ستة مطالب:

- **المطلب الأول:** البكاء الدال على الحزن.
- **المطلب الثاني:** البكاء الدال على الغيرة.
- **المطلب الثالث:** البكاء الدال على الخوف والشوق والخشوع.
- **المطلب الرابع:** البكاء الدال على الفرح والسرور.
- **المطلب الخامس:** البكاء الدال على الحب.
- **المطلب السادس:** البكاء الدال على الندم.

- **المبحث الثاني:** دلالات أخرى لحركة العين.

وينقسم إلى خمسة مطالب:

- **المطلب الأول:** دالة الغمز.
- **المطلب الثاني:** العين الشاخصة.
- **المطلب الثالث:** دالة التتبع.
- **المطلب الرابع:** دالة الإعراض.
- **المطلب الخامس:** دالة طلب الشيء.

الفصل الثاني

دلالة حركة اليد والرجل

وينقسم إلى تمهيد وثلاثة مباحث:

- **التمهيد:** موجز عن الإشارة باليد.
- **المبحث الأول:** دالة الإشارة باليد.

  وينقسم إلى ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول:** الإشارة باليد للدلالة على حكم شرعي وعلى إجابة الفتيا.
  - **المطلب الثاني:** الإشارة باليد لتوضيح معنى.
  - **المطلب الثالث:** الإشارة باليد للدلالة على الدعاء.
- **المبحث الثاني:** دلالات أخرى للإشارة باليد.

  وينقسم إلى تسعة مطالب:
  - **المطلب الأول:** إشارة اليد للدلالة على أمر.
  - **المطلب الثاني:** إشارة اليد للدلالة على مكان.
  - **المطلب الثالث:** إشارة اليد للدلالة على قصر الوقت.
  - **المطلب الرابع:** الإشارة باليد للدلالة على طلب السكوت والتراجع عن الشيء.
  - **المطلب الخامس:** إشارة اليد للدلالة على طلب الحق.
  - **المطلب السادس:** إشارة اليد للدلالة على التواضع واستمالة النفوس.
  - **المطلب السابع:** إشارة اليد للدلالة على شخص بعينه.
  - **المطلب الثامن:** إشارة اليد للحث على عمل البر.
  - **المطلب التاسع:** الإشارة باليد للتمويه والكتمان.
- **المبحث الثالث:** دلالة حركة الرجل.

  وينقسم إلى خمسة مطالب:
  - **المطلب الأول:** حركة الرجل للدلالة على الألم.
  - **المطلب الثاني:** حركة الرجل للدلالة على الثقة بالنفس.

- **المطلب الثالث:** حركة الرجل لطلب العفو والمسامحة.
- **المطلب الرابع:** حركة الرجل للدلالة على السكينة والوقار.
- **المطلب الخامس:** حركة الرجل للدلالة على الكبر والخيلاء.

الفصل الثالث

دلالة حركة الرأس والوجه

وينقسم إلى تمهيد وثلاثة مباحث:

- **التمهيد:** مقدمة عن تعبيرات الوجه.
- **المبحث الأول:** حركة الرأس والوجه للدلالة على الغضب.
- **المبحث الثاني:** حركة الرأس والوجه للدلالة على الخوف والحزن والسرور.

وينقسم إلى ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** حركة الرأس والوجه للدلالة على الخوف.
- **المطلب الثاني:** حركة الرأس والوجه للدلالة على الحزن.
- **المطلب الثالث:** حركة الرأس والوجه للدلالة على السرور.

- **المبحث الثالث:** دلالات أخرى لحركة الرأس والوجه.

وينقسم إلى ستة مطالب:

- **المطلب الأول:** حركة الرأس للإجابة عن سؤال.
- **المطلب الثاني:** حركة الوجه للدلالة على الحياء.
- **المطلب الثالث:** حركة الوجه للدلالة على كراهية شيء.
- **المطلب الرابع:** حركة الوجه للدلالة على التعجب.
- **المطلب الخامس:** حركة الوجه للدلالة على الجوع.
- **المطلب السادس:** حركة الوجه للدلالة على الخشوع.

الخاتمة

ختم الباحث بحثه بذكر أهم النتائج التي توصل إليها في دراسته، وبيان أهم التوصيات. كما أعدَّ الباحث الفهارس العلمية للبحث.

التمهيد

مفهوم اللغة الصامتة وعلاقتها بالسيميائية

التمهيد: مفهوم اللغة الصامتة وعلاقتها بالسيميائية

يبدو جليًّا لنا أن المصطلح يتكون من لفظتين: (اللغة) و(الصمت)، ومن أسس البحث العلمي –التي جرت العادة باتباعها– توضيح معاني المصطلح في اللغة وعند أهل الاختصاص، ثم توضيح المصطلح العلمي الموسوم من خلال المراجع العلمية المتعددة التي تناولت المصطلح ذاته.

أولًا– اللُّغةُ لغةً:

جاء في اللسان "اللغة: "اللِّسْنُ، وحَدُّها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وهي فُعْلةٌ من لَغَوت؛ أي: تكلَّمت، أصلها لُغْوة، وقيل: أصلُها لُغَيٌ أو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغىً. وفي المحكم: الجمع لغات ولُغونَ"[1].

وجاء في تهذيب اللغة: "قال الليث: اللُّغةُ واللغاتُ واللُّغِين: اختلاف الكلام في معنى واحد. ويقال: لغا يَلغو لغوًا، وهو اختلاط الكلام ولَغَا يَلْغا لُغةُ. وفي الحديث: "**من قال يوم الجمعة والإمام يخطب لصاحبه صَهْ فقد لَغَا**"[2]؛ أي: تكلَّم، واللُّغةُ من الأسماء الناقصة وأصل لُغوةٌ من لَغَا إذا تكلَّم"[3].

وقيل في معنى اللغة: "هو الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل، وأصلها (لُغْوة ككُرةٍ وقُلةٍ وثُبةٍ، لاماتها كلها واوات، وقال الجوهري: أصلها لُغَيٌ أو لُغوٌ، والهاء عوض"[4].

واللغة في زماننا المعاصر لها ثلاثة أوجه؛ الأول: منطوق وسيلته الأصوات، والثاني: مكتوب وسيلته الحروف، والأخير: صامت وسيلته الإرشادات والرسوم[5].

وما يهمنا في هذا البحث هو النوع الثالث، وهو موضوع هذه الدراسة.

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة: لغا،(251/15–252)

([2]) أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الصلاة/ باب فضل يوم الجمعة، 406/1: رقم الحديث 1053.

([3]) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، مادة: غَل(172/8–173).

([4]) الزبيدي، تاج العروس (173/39).

([5]) الحسيني، اللغة الصامتة (ص23).

ثانيًا–اللغةُ اصطلاحًا:

بعد مطالعة أبرز كتب اللغة ورصد أقوال مؤلفيها في مفهوم اللغة؛ تبيَّن للباحث أنّ المعنى اللغوي لكلمة (اللغة) لا يبتعد كثيرًا عن المعنى الاصطلاحي لها. وأبرز هذه التعريفات ما يأتي:

تعريف ابن جني للّغة بقوله: "أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم"[1].

ويقول ماريو باي في اللغة: "إنها تلك التي تتعلق باللسان الإنساني"[2]، وأورد تعريفات أخرى لها بقوله: "تلك التي تحمل معنى، أو كل شيء له معنى مفيد، أو كل شيء ينقل المعنى من عقل إنساني لآخر"[3].

ويعرفها محمود حجازي بقوله: "اللغة نظام من الرموز الصوتية، وتكمن قيمة أي رمز في الاتفاق عليه بين الأطراف التي تتعامل به، وقيمة الرمز اللغوي تقوم على علاقة بين متحدث أو كاتب هو المؤثر، ومخاطب أو قارئ هو المتلقي"[4].

ونقل عبد الرحمن أيوب تعريف دي سوسير للّغة فقال: "أما اللغة فهي مجموعة الصور الذهنية التي توجد في عقل جماعة من الجماعات، والتي يمكن أن تخرج إلى الوجود على شكل كلام"[5].

ويقول رمضان عبد التواب عن اللغة: "اللغة كائن حي؛ لأنها تحيا على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفراده، كما أنها تتطور بتطور هذا المجتمع، فترقى برقيه وتنحطّ بانحطاطه"[6].

([1]) ابن جني، الخصائص (33/1).

([2]) باي، أسس علم اللغة (ص35).

([3]) المرجع السابق، ص35.

([4]) حجازي، أسس علم اللغة العربية (ص8).

([5]) أيوب، أصوات اللغة (ص16).

([6]) عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه (ص9).

ويعرفها علي عبد الواحد وافي بقوله: "اللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في اتباعه، ويتخذونه أساسًا للتعبير عما يجول بخواطرهم، وفي تفاهمهم بعضهم مع بعض"[1].

ويعرفها محمد حسن عبد العزيز بقوله: "اللغة نظام من علامات وصيغ وقواعد، ينتقل من جيل إلى جيل وليس له تحقق فعلي؛ لأن الناس لا يتكلمون القواعد، وإنما يتكلمون وفقًا لها"[2].

ويعرفها محمود السعران بقوله: "والذي يذهب إليه العلم هو أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية كسائر الظواهر الاجتماعية، ومعنى هذا أنها من صنع المجتمع الإنساني"[3].

ويعرفها عبد الصبور شاهين بقوله: "يطلق لفظ اللغة على تلك الأصوات التي ينتجها جهاز النطق في الإنسان، معبرًا بها عما يحس به من حاجات يريد بيانها والإيضاح عنها"[4].

وتعرفها سيزا قاسم بقولها: "اللغة أداة تواصل ونظام من العلامات الشفوية الخاصة بأعضاء مجموعة تواصلية واحدة"[5].

وبعد سرد هذه المصطلحات والتعاريف لمفهوم اللغة بَانَ للباحث أنّ أدقّ وأوجز هذه التعريفات هو تعريف ابن جني لها، وأنّ كثيرًا من أهل اللغة أبدوا إعجابهم بهذا التعريف وأظهروا قناعتهم به، فهذا محمود حجازي يقول مُبديًا رأيه به: "وهذا تعريف دقيق يذكر كثيرًا من الجوانب المميزة للغة. لقد أكّد ابن جني أولًا الطبيعة الصوتية للغة، كما ذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وذكر أيضًا أنها تستخدم في مجتمع فلكل قوم لغتهم"[6]. ونلاحظ –أيضًا– أنّ أصحاب المعاجم العربية –وعلى رأسهم ابن منظور– قد أوردوا تعريف ابن جني للّغة عندما بيَّنوا معناها وأصلها اللغوي.

([1]) وافي، اللغة والمجتمع (ص6).

([2]) عبد العزيز، سوسير رائد علم اللغة الحديث (ص20).

([3]) السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (ص52).

([4]) شاهين، في علم اللغة العام (ص22).

([5]) سيزا قاسم ونصر أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا (ص14).

([6]) حجازي، أسس علم اللغة العربية (ص7).

وللّغة ثلاث خواص ذكرها علي وافي[1]:

إنها تتمثل في نظم عامة يشترك في اتباعها أفراد مجتمع ما، ويتخذونها أساسًا لتنظيم حياتهم المجتمعية، وتنسيق العلاقات التي تربطهم بعضهم ببعض والتي تربطهم بغيرهم.

إنها ليست من صنع الأفراد، وإنما تخلقها طبيعة الاجتماع، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات، ومقتضيات العمران، وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع إذ يقررون أنها من (نتاج العقل الجمعي).

إنّ خروج الفرد على أي نظام منها يَلقى من المجتمع مقاومة تأخذه بعقاب مادي أو أدبي، أو تُلغي عمله وتعده كأنه لم يكن، أو تحول بينه وبين ما يبتغيه من وراء مخالفته، وتجعل أعماله ضربًا من ضروب العبث العقيم، أو تسلط عليه أكثر من جزاء واحد من هذه الجزاءات.

ثالثًا- الصمتُ لغةً:

والصمت لغةً: السكوت، قال ابن منظور: "صمت: يصمت صَمتًا وصُمتًا وصموتًا وصماتًا، وأصمت: أطال السكوت، والتصميت: التسكيت. والتصميت أيضًا: السكوت ورجلٌ صِمِّيتٌ؛ أي: سكِّيتٌ، والاسم من صَمَتَ: الصُّمْتةُ، وأصْمَتَه هو، صمَّتَه، وقبل الصَّمتُ المصدر، وما سوى ذلك فهو اسمٌ، والصُّمْتَةُ بالضم: مثل السُّكْتةِ، ابن سيده: الصُّمْتَة، والصِّمتةُ: ما أُصْمِتَ به، وصُمْتةُ الصَّبي: ما أُسْكِتَ به"، وفي حديث علي -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: (لا رضاع بعد فصالٍ، ولا صَمتَ يوما إلى الليل)، ويقال للرجل إذا اعتقل لسانُه فلم يتكلم أصمَتَ، فهو مُصْمِتٌ، وأنشد أبو عمرو:

ما إن رأيتُ من مـُعَنَّيــاتٍ

أصبرَ منهنَّ على الصماتِ

وفي حديث أسامة بن زيد، قال: لما ثَقُلَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- هبطنا وهبطَ الناسُ، يعني إلى المدينة، فدخلتُ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومَ أَصْمَتَ فلا

([1]) وافي، اللغة والمجتمع (ص5).

يتكلَّم، فجعل يرفع يداه إلى السماء، ثم يَصُبُّها عليَّ، أعرف أنه يدعو لي... وإنما عَرَفَ أنه يدعو له بالإشارة لا بالكلام والعبارة[1].

ويقول النابغة الذبياني:

وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَّعِيَّةٍ ونَسْجِ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَّاءَ زَائِلِ[2]

ويكشف الإمام الشافعي عن موقفه من مخاصميه فيقول:

قالوا سَكَتَّ –وقد خُوصمت–؟ قلت لهم إنّ الجوابَ لبابِ الشَّرِّ مفتاحُ

والصمت عن جاهلٍ أو أحمق شرفٌ وفيه أيضاً لِصَوْنِ العِرضِ إصلاحُ

أمَا ترى الأُسْدَ تُخْشَى وهي صامتةٌ والكلبَ يُحْسى –لعمري– وهو نبَّاحُ[3]

ويقول الشافعي في فضل السكوت:

وجدتُ سُكُوتي متجراً فلزمتُهُ إذا لم أجد ربحاً فلستُ بخاسرٍ

وما الصَّمتُ إلا في الرجال متاجرٌ وتاجرُهُ يعلو على كل تاجرٍ[4]

ويقول أبو العلاء المعري:

وأصمتُ صَمتاً لا تكلُّمَ بَعدَهُ، ولا قَولَ داعٍ: يا فُلانُ ويا فُلا[5]

([1]) ابن منظور: لسان العرب، مادة: صَمَتَ، (55/2)

([2]) ابن عاشور، ديوان النابغة الذبياني، (ص201)

([3]) محمد سليم، ديوان الإمام الشافعي، (ص43).

([4]) المرجع السابق، (ص73).

([5]) المعَرِّي، ديوان أبي العلاء المعري، (ص1057)

رابعًا– الصمت اصطلاحًا:

هذا المصطلح لا يُنسب لأهل اللغة والأدب فحسب؛ بل يتداوله أيضًا أهل اللغة، وعلماء علم النفس، وأهل البلاغة، ويُستعمل للفنون كافة، ولا يختلف معناه اللغوي عن الاصطلاحي كثيرًا.

يقول جوت شاكر عن الصمت: "الصمت ليس التوقف عن الكلام؛ بل هو كلام من نوع آخر؛ أي: هو لغة بحد ذاته، وهو الأقرب إلى حالة الفيض الانفعالي من الكلام؛ بل قد يرسل إشارة عظيمة الدلالة"[1]؛ فهو يَعُدُّ الصمت لغةً من نوع آخر؛ لأن الصمت –في كثير من الأحيان– قد يوصل رسالة أبلغ من الكلام.

ويَعُدُّ نضال أبو عياش الصَّمتَ أحدَ أشكال الاتصال غير اللفظي، وأنّ الاتصال الفعّال بين الأشخاص يعتمد على الصّمت، ونراه قد ذكر نماذج كثيرة للصمت – ذكر أحد عشر نموذجًا– لكل منها معناه ومضمونه ونتائجه بالنسبة لعملية الاتصال ذاتها[2].

ويقول الجاحظ في كتابه البيان والتبيين كلامًا قيِّمًا فيما يتعلق بالصمت، فقد صدَّر في باب الصمت كلامًا يُنسبُ لعدد من الزُّهاد والعلماء والصحابة وينسب للنبي –صلى الله عليه وسلم– يحث على الصمت، ويحذّر من الكلام، ومن ذلك أنّ أعرابيًّا سُئل عن طول صمته فقال: "أسمعُ فأعلم وأسكت فأسلم"[3]، وأورد قولَ النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وهل يَكبُّ الناسَ على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم؟"[4]، ثم أورد الجاحظ أقوالًا أخرى تنسب للصحابة ومجموعة من الأشعار تحذّر من طلاقة اللسان ومن الإسهاب في الكلام.

ويُعدُّ فهم الجاحظ لهذه النصوص فهمًا دقيقًا سليمًا، فهو يرى أنّ هذه النصوص الواردة في التحذير من الكلام وطلاقة اللسان لا يفهم منها أنه ينبغي لزوم الصمت والسكوت في كل الأحوال؛ بل حث على البيان وطلاقة اللسان لمن وجد في نفسه القدرة على بيان الحق والصَّدع والجهر به، فقال: "وأنا أوصيك أن لاتدع التماس البيان والتبيين إن ظننت أنّ لك فيها طبيعة، وأنهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك في بعض المشاكلة ... وإن كنت ذا بيان وأحسست

([1]) محمود، الاتصال في علم النفس (ص180).

([2]) انظر: أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (ص130–131).

([3]) الجاحظ، البيان والتبيين (ص123).

([4]) الطبراني، المعجم الكبير، (ج20/ص64)

من نفسك بالنفوذ في الخطابة والبلاغة وبقوة المِنَّة يوم الحفل فلا تقصر في التماس أعلاها سورةً وأرفعها في البيان منزلة"[1].

خامسًا- مفهوم اللغة الصامتة:

ويعني الباحث باللغة الصامتة لغة الجسد من إشارات وإيماءات وتعبيرات الوجه، فاللغة الصامتة -في نظر الباحث- وصفٌ للغة الجسد.

ومن خلال البحث حول هذا الموضوع تبين للباحث أن هذا المصطلح حديث معاصر، وأنّ الذين تناولوا هذا المصطلح هم من المعاصرين، فمنهم من أطلق عليه مصطلح لغة الجسد، ومنهم من سماه بلغة الجسم، ومنهم من سماه باللغة الصامتة، ومنهم من سماه بالاتصال الصامت، ومنهم من سماه بالاتصال غير اللفظي.

وسيتضح هذا الكلام أكثر بعد عرض تعريفات بعض المعاصرين لهذا المصطلح:

سمَّى الدكتور إبراهيم أبو عرقوب المصطلح بالاتصال غير اللفظي، وحدَّه بأنه "لغة عالمية تستخدم رموزًا على شكل إشارات وحركات، تتحكم ضرورات أو عوامل بيولوجية فيه"[2].

وعرَّف الدكتور نضال أبو عياش لغة الجسد بقوله: "تتضمن هذه اللغة نقل المعاني من خلال حركات الوجه وتعبيراته، والإيماءات، والانحناءات، ووضع الجسم، وحركات اليدين، واللمس، وشكل الجسم أو مظهره"[3].

وسلَّط الدكتور إسحاق موسى الحسيني في حديثه عن اللغة الصامتة الضوءَ على الإرشادات (العلامات) التي وردت في العربية قديمًا وحديثًا بقصد جمعها وتبويبها، وبعض هذه الإشارات عامٌ تشترك فيه جميع اللغات، وبعضها خاصٌ اصطلح عليه العرب قديمًا وحديثًا[4].

ويَعدُّ جودت شاكر محمود لغة الجسم وسيلةً من وسائل الاتصال غير اللفظي، ويعرفها بقوله: "مصطلح يستخدم للتعبير عن المشاعر اللاشعورية والدفعات والصراعات من خلال

([1]) الجاحظ، البيان والتبيين (ص126).

([2]) انظر: أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي (ص22- 23).

([3]) أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (ص120).

([4]) انظر: الحسيني، اللغة الصامتة (ص23).

أعضاء الجسم ... أو للدلالة على وضع الجسم من خلال الإشارات أو الإيماءات أو التعبيرات الوجهية والصور الأخرى من التواصل غير اللفظي"[1].

ويقول محمد غباري وسيد عطية في تعريفهما للاتصال غير اللفظي: "وهو يعتمد على اللغة اللفظية على اعتبار أنّ كل الوسائل اللفظية وغير اللفظية تصير لغة للتفاهم والاتصال، وتشمل الصور بأنواعها والرموز والإشارت التي يستخدمها الانسان؛ لتدل على معاني أو مفاهيم معينة كإشارات المرور، وحركات الإنسان نفسه، وغيرها"[2]، نلاحظ في هذا التعريف أنّ الاتصال غير اللفظي عند المؤلفين لا يقتصر على لغة الجسم عند الإنسان؛ بل يتعداها ليشمل إشارات المرور وغيرها من الرموز والإشارات التي يمكن من خلالها إيصال رسالة أو مفهوم معين.

مما سبق يتضح للباحث أنَّ جميع هذه التعريفات متقاربة في المعنى وإنْ اختلف المصطلح، فكلهم اتفقوا على أنّ اللغة الصامتة هي عبارة عن إشارات أو إيماءات أو تعبيرات وجه يستعين بها الإنسان؛ ليعبر عما في نفسه ووجدانه.

وبإمكاننا أن نوضح علاقة اللغة الصامتة بالسيميائية ونستنتجها بعد أن نبين مفهوم السيميائية لغة واصطلاحًا.

سادسًا– السيمياء لغة:

السيمياء لفظ عربي أصيل أورده أصحاب المعاجم اللغوية في مادة لغوية واحدة وهي (سَوَمَ)، كالآتي:

جاء في اللسان "السومة والسيمة والسيماء والسيمياء: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، قال أبو بكر: قولهم عليه سيما حسنة معناه علامة، وهي مأخوذة من وسمت أَسِم، وقيل: الخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومة وهي العلامة[3].

والأصل في سيما وسْمَى، فحُوّلت الواو من موضع الفاء إلى موضع العين، كما قالوا: ما أطْيَبه وأيْطَبه صار سوْمى، وجعلت الواوُ ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها[4].

([1]) محمود، الاتصال في علم النفس (ص141).

([2]) غباري وعطية، الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق (ص35).

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوم).

([4]) الأزهري، تهذيب اللغة (112/13).

وقال الجوهري: السومة العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضًا، وقال ابن الأعرابي: السيمة العلامة على صوف الغنم والجمع السيم[1]، وقال الليث: سَوَّم فلانٌ فَرَسَه إذا أَعلَم عليه بحريرةٍ أو بشيء يعرف به، وهي العلامة يعرف بها الخير والشر[2].

وقد وردت كلمة (السيمياء) في اللغة مقصورة وممدودة. ومثال ورودها مقصورة من التنزيل الحكيم ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ**﴾[3]. قال الطبري في تأويل هذه الآية: "وقوله: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ علامتهم في وجوههم من أثر السجود، وجاء في الحديث: (إنّ لله فرساناً من أهل السماء مُسَوَّمين)[4]؛ أي: معلمين، ثم اختلف أهل التأويل في السيما الذي عناه الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: ذلك علامة يجعلها الله في وجوه المؤمنين يوم القيامة، يُعرفون بها لما كان من سجودهم له في الدنيا، وقال آخرون: بل ذلك سيما الإسلام وسمته وخشوعه، وقال آخرون: ذلك أثر يكون في وجوه المصلين، مثل أثر السهر، الذي يظهر في الوجه مثل الكلف والتهيج والصفرة، وأشبه ذلك مما يظهره السهر والتعب في الوجه، ووجه التأويل في ذلك إلى أنه سيما في الدنيا[5].

وقد وردت السيمياء ممدودة في اللغة، كما في قول أسيد بن عنقاء الفزاري:

غلام رماه الله بالحسن يافعًا له سيمياءٌ لا تشقّ على البَصَرْ[6].

سابعًا–السيمياء اصطلاحًا:

تعددت مفاهيم السيمياء في المصطلح النقدي وتشعَّبت، ويعود ذلك –في نظر الباحث– إلى عدم استقرار مفردات هذا العلم، وإلى عدم اكتمال مناهجه، وإلى عدم هيمنة حقله المعرفي. وهذا ما ذكرته الدكتورة فريال جبوري غزول بقولها: "ومع أنّ السيميوطيقا –بوصفها علمًا– تبلورت في القرن العشرين حيث تشكلت مفرداتها وإن لم تستقر، وتحددت مناهجها وإن لم

([1]) الزبيدي، تاج العروس (350/8).

([2]) الأزهري، تهذيب اللغة (112/13).

([3]) [سورة الفتح: 29].

([4]) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، (206/2).

([5]) انظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (261/22 – 264).

([6]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (سوم).

تكتمل، وأصبحت حقلًا معرفيًّا وإن كان غير مهيمن، إلا إن التأملات في العلامة قديمة قدم الحياة"[1].

وتبيَّن للباحث أنّ أغلب المصادر التي تناولت مصطلح السيمياء ومفهومه عُنْوِنَتْ بـ (السيميولوجيا) أو (السيميوطيقا)، وقد اختار دي سوسير مصطلح السيميولوجيا، واختار بيرس مصطلح سيميوطيقا، وما زال الأوربيون –ولا سيما العالم الناطق بالفرنسية– يؤثرون مصطلح دي سوسير(1857–1913م)، بينما يؤثر الأمريكيون مصطلح بيرس (1839–1914م) [2]. "أما العرب، خاصة أهل المغرب العربي فقد دعوا إلى ترجمتها بـ(السيمياء) محاولة منهم في تعريب المصطلح"[3].

ولعل تعدد التعريفات واختلافها قد شكل عقبة وصعوبة أمام الباحث، منها تعريفها بأنها عبارة عن "دراسة الشفرات؛ أي: الأنظمة التي تُمكِّنُ الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى. وهذه الأنظمة هي نفسها أجزاء أو نواح من الثقافة الإنسانية، برغم كونها عرضة لتغيرات ذات طبيعة بيولوجية أو فيزياوية"[4].

وفي تعريف آخر لها: "ليست السيميولوجيا غير ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيًّا كان مصدرها لغويًّا أو سننيًّا أو مؤشريًّا"[5].

وفي تعريف سعيد بنكَراد لها: "إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءًا من الانفعالات البسيطة ومرورًا بالطقوس الاجتماعية، وانتهاءً بالأنساق الإيديولوجية الكبرى"[6].

وقد عرفها كل من ميجان الرويلي وسعد البازعي في كتابهما دليل الناقد الأدبي بقولهما: "السيميولوجيا (السيميوطيقا) لدى دارسيها، تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة"[7].

([1]) قاسم وأبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا (ص14).

([2]) انظر: الحموز، سيميائية التواصل والتفاهم في التراث العربي القديم (ص28). وانظر: شولز، السيمياء والتأويل (ص13–14).

([3]) الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبي (ص177).

([4]) شولز، السيمياء والتأويل (ص14).

([5]) السرغيني، محاضرات في السيميولوجيا (ص5).

([6]) بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (ص25).

([7]) الرويلي، والبازع، دليل الناقد الأدبي (ص177).

وبعد سرد هذه التعريفات والمفاهيم عن السيميائية يتبيَّن للباحث أنه بالرغم من تعدد التعريفات إلا إنها –جميعها– تدل على مفهوم واحد، وأنّ السيميائية علم من العلوم يخضع لضوابط وقوانين معيَّنة، ويظهر للباحث –أيضًا– أنّ عموم الدّارسين يتّفقون على أنّ السيميائية هي علم العلامات أو العلم الذي يدرس العلامات.

ثامنًا–العلاقة بين اللغة الصامتة والسيميائية:

بعد التأصيل العلمي لمصطلحي اللغة الصامتة والسيمياء لغة واصطلاحًا، وتوضيح المقصود بكل منهما من خلال تتبع أقوال العلماء في ذلك ودراستها، يمكننا أن نخلص إلى عدة استنتاجات نوضح من خلالها العلاقة بين اللغة الصامتة والسيمياء كالآتي:

1– تهتم السيمياء بدراسة العلامات والرموز من أجل تمكين الكائنات البشرية من فهم بعض الأحداث أو الوحدات بوصفها علامات تحمل معنى، بينما تهتم اللغة الصامتة بدراسة العلامات والرموز التي تصدر من الإنسان من أجل التواصل بين المرسل والمستقبل.

2– السيمياء واللغة الصامتة مصطلحان يخضعان لضوابط وقوانين معينة، شأنهما في ذلك شأن سائر العلوم الأخرى.

3– على الرغم من تعدد المصطلحات والتعريفات لكل من السيمياء واللغة الصامتة؛ إلا إنّها تدل على مفهوم واحد، فالسيمياء تدرس الإشارة لتفسير الأحداث، واللغة الصامتة تدرس الإشارة لتمكين التواصل بين المرسل والمستقبل.

الفصـل الأول

دلالة حركة العين

الفصل الأول: دلالة حركة العين

التمهيد:

في كثير من الأحيان يَعْجَزُ اللسانُ عن التعبير عن مكنونات النفس، وعن المشاعر والأحاسيس التي في داخلها، في الوقت الذي لا تعجزُ العين عن إظهار هذه المكنونات والمشاعر والأحاسيس؛ لتُكَوِّن بذلك لغة صادقة صامتة تظهر ما في النفس من كلام يعجز اللسان عن بيانه والتعبير عنه، وقد أشار القرآن الكريم إلى دلالة لغة العيون في آيات عديدة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**﴾[1].

للتواصل غير اللفظي من خلال العين أهميةٌ كبيرة في نقل المعلومات من المرسل إلى المستقبل، وهذا ما أكده نضال أبو عياش، حيث قال: "يعد تواصل العينين من أقوى الوسائل غير اللفظية؛ لأنها تستطيع نقل العديد من الرسائل بطرق مختلفة"[2].

وعندما يتقابل شخصان لأول مرة، فإن عين كل منهما يكون لها القدرة على قراءة أفكار بعضهما بعضًا من خلال حركات العين، قال آلان وبربارابيس: "كانت إشارات العين جزءًا محوريًّا في القدرة على قراءة اتجاهات الطرف الآخر وأفكاره، عندما يتقابل الناس لأول مرة، فإنهم يجرون سلسلة من الأحكام السريعة حول كل منهم عن الآخر، استنادًا إلى حد كبير على ما يرونه"[3]، بمعنى أنك إذا قابلت شخصًا لأول مرة في حياتك، فإنك تستطيع أن تأخذ فكرة عن هذا الشخص من خلال لغة العيون الصامتة؛ لذا يمكن لنا أن نعدَّ العينَ اللسانَ الناطق في اللغة الصامتة، وقد نقل أبو عياش قولا للدكتور ماجد سكر في ذلك، حيث قال: "فهي اللسان الناطق في تلك اللغة الصامتة"[4].

وعلى صعيد حياتنا اليومية – مثلًا– قد يتحاور شخصان اثنان باللسان وباللغة المنطوقة العادية؛ لكن قد يشك أحدهما في الآخر وفي مدى صدق حديثه؛ فيقول له بالعبارة المتداولة

([1]) [الأحزاب: 19].

([2]) أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (123).

([3]) بربارايس، لغة الجسد (ص112).

([4]) أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (123).

المشهورة: (عيني في عينك)؛ أي: بمعنى أنه يريد أن يتحقق من مدى صدقه من خلال لغة العين الصامتة الأكثر صدقًا، فالعين قد تُظهر ما يخفيه القلب، قال الشاعر:

العين تبدي الذي في قلب صاحبـها ... من الشـــناءة أو حبّ إذا كانا
إنّ البغيـــض له عين تكشّفـــــه لا ... تســتطيع لمـــا في القلب كتمانا
فالعيــن تنطـــق والأفـــواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا[1]

وقد بيَّن الجاحظ العلاقة بين اللفظ والإشارة بالعين وباقي الحواس بأنّهما شريكان، فقال: "والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه"[2]؛ أي: إنّ الإشارة واللفظ يعين كل منهما الآخر في إيصال المراد على وجهه الصحيح، وقال- أيضًا- عن الإشارة بالعين: "وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة"[3].

قال الشاعر:

أشارت بطرف العين خيفة أهلها ... إشـــارة مذعور ولـــم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا ... وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم[4]

وقال آخر:

وعين الفتى تبدي الذي في ضميره ... وتعرف بالنجوى الحديث المغمَّسا[5]

ومنه قول الشاعر:

وتَرمِينَني بالطَّرْفِ أيْ أَنتَ مُذْنبٌ ... وتـقلـِيننـي لكــنَّ إيــّاكِ لا أقلِـي

([1]) ياقوت الحموي، معجم الأدباء (1355/3)
([2]) الجاحظ، البيان والتبيين (56/1).
([3]) المرجع السابق، 56/1.
([4]) المرجع نفسه، 58/1.
([5]) المرجع نفسه، 58/1.

والطرف هنا النظر بالعين؛ أي: وترميني بالطرف كأنه سهم، وكثيراً ما يستعار السهم لطرف العين[1]

وتحمل لغة العيون دلالات عديدة متنوعة تظهر بشكل واضح عند تعامل الإنسان بهذه اللغة، وقد وضح الدكتور نضال أبو عياش بعضًا من هذه الدلالات بقوله: "ففي حالة تواصل العينين لفترات طويلة، فإن هذا يعني: عدم الاحترام، التعالي، التهديد، التحذير. وفي حالة تواصل العينين لفترات قصيرة، فإن هذا يعني: الخوف، الخجل، وفي حالة النظر إلى الأسفل فإن هذا يعني: التواضع، الطاعة، الخضوع، والنظر في أثناء الكلام إلى جهة الأعلى لليسار: يعني أن الإنسان يعبر عن صور داخلية في الذاكرة، وإن كان يتكلم وعيناه تزيغان لجهة اليمين للأعل؛ فهو ينشئ صورًا داخلية ويركبها ولم يسبق له أن رآها"[2].

وستتضح في صحيح البخاري دلالات عديدة أخرى للغة العيون وحركاتها في المباحث الآتية.

([1]) البغدادي، خزانة الأدب، (225/11).

([2]) أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (ص124).

المبحث الأول: دلالة البكاء

من خلال تتبع الكلمات والألفاظ التي تدل على حركة العين في صحيح البخاري، اتضح للباحث أنّ حركة العين توحي بدلالات عديدة، ومن هذه الدلالات دالة البكاء، وقد وردت هذه الدالة في أحاديث كثيرة بمعاني عديدة كالآتي:

المطلب الأول: البكاء الدال على الحزن:

الأصل في البكاء أنه لا يكون إلا لحزن أو لألم يصيب الإنسان، وورد في صحيح البخاري أحد عشر حديثًا يحمل هذه الدلالة، وهم كالآتي:

عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قَالَ: "خَطَبَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، **فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ**– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ الله خَيَّرَ عَبْدا بَيْنَ الدنيا وَبَيْنَ مَا عنده، فاختار ما عند الله، فكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا..." [1]، فبدا جليًّا لنا في هذا الحديث أنّ أبا بكر –رضي الله عنه– قد بكى حزنًا بعدما علم أنّ المقصود بالعبد هو رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. قال صاحب تحفة الباري: "حيث فَهِم أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يفارق الدنيا؛ فبكى حزنًا على فراقه"[2]، فدلّ البكاء –هنا– على الحزن.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ – **وَإِنَّ عَيْنَيْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لَتَذْرِفَانِ** – ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ فَفُتِحَ لَهُ»[3]، والشاهد في الحديث هو قول أنس –رضي الله عنه: "وإنّ عيني رسول الله– صلى الله عليه وسلم– لتذرفان؛ أي: تسيلان دمعًا حزنًا على فراق أصحابه، قال صاحب اللسان: "ذَرَفَ

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب الخوخة والممر في المسجد، 144/1: رقم الحديث 466.

([2]) زكريا الأنصاري، تحفة الباري (179/2).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب الرجل يَنْعَى إلى أهل الميت بنفسه، 347/1: رقم الحديث 1246.

الدَّمعُ يَذرِفُ ذَرْفًا وذَرَفَانًا: سَالَ"[1]، وفي حديث العرباض: (فَوَعَظَنَا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– موعظةً بليغةً ذَرَفَت منها العيون)؛ أي: جرى دمعها"[2]، ويقول الشاعر:

ما بالُ عَيني دَمعُها ذَرِيفٌ[3]

ويقول آخر:

عَينيَّ جُودا بالدُّموعِ الذَّوارفِ[4]

وعَنْ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أُتِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يَوْمًا بِطَعَامِهِ، فَقَالَ: «قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ – أَوْ رَجُلٌ آخَرُ – خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عُجِّلَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي حَيَاتِنَا الدُّنْيَا **ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي**»[5]، والشاهد في الحديث هو قوله: "ثم جعل يبكي" والبكاء في هذا الموضع يحمل دلالتين: الحزن والخوف؛ أي إنّ عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنه– قد بكى حينما تذكّر سير الصالحين من قبله وكيف كان زهدهم وتقللهم من الدنيا؛ فأخذ بالبكاء خوفًا على ألَّا يلحق بهم، وحزنًا على تأخره عنهم، وقد قال بذلك أكثر من واحد من شُرّاح الحديث الشريف، قال زكريا الأنصاري في تحفة الباري: " ثم جعل يبكي؛ أي: خوفًا على ألَّا يلحق بمن تقدمه، وحزنًا على تأخره عنهم"[6]، وقال شمس الدين البِرْماوي: "...وإنما بكَى شفقًا ألَّا يلحَق بمن تقدَّمه، وحُزْنًا على تأْخيره عنهم..."[7].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ– أَنَّهُ قَالَ: "أَصَبْتُ شَارِفًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ– صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي مَغْنَمٍ يَوْمَ بَدْرٍ ... فَثَارَ إِلَيْهِمَا حَمْزَةُ بِالسَّيْفِ فَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، – قُلْتُ لِابْنِ شِهَابٍ وَمِنَ السَّنَامِ؟ قَالَ: قَدْ جَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، فَذَهَبَ بِهَا، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: – قَالَ عَلِيٌّ– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فَنَظَرْتُ إِلَى مَنْظَرٍ أَفْظَعَنِي...**). [8] وفي رواية أخرى: (...**فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ المَنْظَرَ مِنْهُمَا**، فَقُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذَرَفَ).

([2]) المرجع السابق، (109/9).

([3]) المرجع نفسه.

([4]) المرجع نفسه.

([5]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب الكفن من جميع المال، 354/1: رقم الحديث 1274.

([6]) الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (270/7).

([7]) البِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (180/5).

([8]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المساقاة/ باب بيع الحطب والكلإ، 137/2: رقم الحديث 2375.

فَقَالُوا: فَعَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَعَرَفَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- فِي وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ...)[1]. والشاهد من هذا الحديث العبارات البارزة بالخط العريض، فعندما رأى علي -رضي الله عنه- ما جرى للناقتين حزن حزنًا شديدًا لدرجة أنه لم يملك عينيه من البكاء وخاف من تأخير البناء بفاطمة -رضي الله عنها-؛ فالبكاء -هنا- يحمل دلالة الحزن، ويحمل دلالة الخوف من عدم تحقيق المراد، قال بدر الدين العيني: "وإنما كان بكاؤه -رضي الله تعالى عنه- خوفًا من توهم تقصيره في حق فاطمة -رضي الله تعالى عنها-، أو في تأخير الابتناء بسبب ما كان منه ما يستعان به"[2]. وتبدو اللغة الصامتة أو لغة الجسد واضحة على وجه علي -رضي الله عنه- وعينه؛ لدرجة أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قد علم حُزن علي من تعبيرات وجهه وعيونه، ومصداق ذلك قوله في الحديث: "فعرف النبي -صلى الله عليه وسلم- في وجهي الذي لقيت".

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قَالَ: "يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ **ثُمَّ بَكَى حَتَّى خَضَبَ دَمْعُهُ الحَصْبَاءَ**، فَقَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- وَجَعُهُ يَوْمَ الخَمِيسِ..."[3]؛ فدلالة بكاء ابن عباس في هذا الموضع هي الحزن، فقد بكى حزنًا عندما تذكر اليوم الذي اشتدّ فيه وجع النبي -صلى الله عليه وسلم- ومات من هذا المرض.

وقال أبو بكر -رضي الله عنه- بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[4]، وَقَالَ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[5]، قَالَ: **فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ...**"[6]، والشاهد قوله: (فنشج الناس

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ باب فرض الخمس، 355/2: رقم الحديث 3091.

([2]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (18/15).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب هل يُسْتَشْفَعُ إلى أهل الذمة؟ ومعاملتهم، 344/2: رقم الحديث 3053.

([4]) الزمر، 30.

([5]) آال عمران، 144.

([6]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذًا خليلًا"، 529/2: رقم الحديث 3668.

يبكون)، والنشيج في اللغة: هو البكاء بغير انتحاب، قال ابن منظور: "ونشج الباكي إذا غُصَّ بالبكاء في حَلقِه من غير انتحاب"[1] وبكاء الصحابة –رضي الله عنهم– في هذا الموضع بعد سماعهم هذه الكلمات من أبي بكر –رضي الله عنه– كان حزنًا وألمًا لفراقهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الدنيا. قال ابن حجر في فتح الباري عن هذا النشيج: "هو صوت معه توجع وتحزن"[2]، وفي حديث عمر –رضي الله عنه–: "أنه صلَّى الفجرَ بالناسِ فقرأَ سورة يوسف، حتى إذا جاء ذِكرُ يوسفَ بكى حتى سُمِعَ نَشِيجُهُ خلفَ الصفوف"[3] فدلالة هذا البكاء والنشيج هي الحزن والألم.

وعن أَنَس بن مَالِكٍ، يَقُولُ: "مَرَّ أَبُو بَكْرٍ، وَالعَبَّاسُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ **وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟** قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ– صلى الله عليه وسلم– مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ المِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»"[4] والشاهد من الحديث قوله: (وهم يبكون)، عندما مرّ أبو بكر والعباس –رضي الله عنهما– بالأنصار وهم يبكون عجبًا من سبب هذا البكاء! فسأل العباس الأنصار عن سبب بكائهم؛ فقالوا إنهم كانوا يجلسون في مجلس النبي –صلى الله عليه وسلم–، وعندما مرِض النبي –صلى الله عليه وسلم –خافوا أن يموت في مرضه هذا فبكوا حزنًا على فوات ذلك المجلس مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، وبهذا المعنى شَرَحَ الحديث بدر الدين العيني في كتابه عمدة القاري[5]، فدلالة بكاء الأنصار هي الحزن على فراق مجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وفواته.

وعَنِ ابْنِ المُنْكَدِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: "لَمَّا قُتِلَ أَبِي **جَعَلْتُ أَبْكِي،** وَأَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– يَنْهَوْنِي وَالنَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– لَمْ يَنْهَ، وَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَبْكِهِ – أَوْ: مَا تَبْكِيهِ – مَا زَالَتِ

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نَشَجَ).

([2]) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (194/1).

([3]) السيوطي، الدرّ المنثور، (573/4).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «اقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»، 10/3: رقم الحديث 3798.

([5]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (265/16).

المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ "[1] والشاهد من الحديث قوله: (جعلت أبكي)، ولا شكَّ –هنا– في أنّ دلالة هذا البكاء هي الحزن.

وفي حديث كعب الطويل جاء فيه: "...وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، **فَفَاضَتْ عَيْنَايَ**، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ..."[2]، هذا جزء من حديث كعب بن مالك –رضي الله عنه– يروي فيه تفاصيل قصة تبوك وما جرى معه في هذه القصة، حيث تخلّف هو وصحابيان عن غزوة تبوك فأمر رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– صحابته بمقاطعتهم حتى نزل قرآنًا من فوق سبع سماوات يُظهر صدقهم في التوبة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[3]، والثلاثة اللذين خُلِّفوا في غزوة تبوك هم: كعب بن مالك، ومرارة بن ربيعة العامري، وهلال بن أمية الواقفي، وكلهم من الأنصار –رضي الله عنهم جميعا–[4] وهذا الجزء من الحديث فيه عدة دلالات لحركة العين سنعرضها في مكانها –إن شاء الله– والشاهد الذي يلزمنا من هذا المقطع –هنا– هو قوله: "ففاضت عيناي وتوليت ..."، فمن سياق الحديث نعلم مدى الحزن الذي لحق بكعب –رضي الله عنه– لفراق أصحابه ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– له ومقاطعتهم له؛ ففاضت عيناه وامتلأت بالدموع حزنًا لذلك، فدلالة البكاء هي الحزن الشديد.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب منْ قُتِلَ مِنَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، 96/3: رقم الحديث 4080.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، 190/3: رقم الحديث 4418.

([3]) التوبة، 118.

([4]) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (262/8).

شِمَالِهِ، **ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ**، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ..."[1] فبكت فاطمة –رضي الله عنها– عندما أسرَّها النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنّ جبريل –عليه السلام– قد قرأ عليه القرآن هذا العام مرة واحدة، وقد كان يقرأه عليه في كل عام مرتين، فأخبرها بأنّ هذا دليل اقتراب أجله –صلى الله عليه وسلم– فبكت حزنًا عندما علمت أنّه سيفارق الحياة.

حَدَّثَنَا ثَابِتٌ البُنَانِيُّ، قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ: تَعْرِفِينَ فُلاَنَةَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم **مَرَّ بِهَا وَهِيَ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ**، فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ، وَاصْبِرِي فَقَالَتْ إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ خِلْوٌ مِنْ مُصِيبَتِي...)[2]. ويتضح لنا من سياق الحديث أنّ المرأة كانت تبكي حزنًا على فراق صاحب القبر.

المطلب الثاني: البكاء الدال على الغيرة:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد دلّ فيه البكاء على الغَيْرة، وهو:

رُوِي "عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، أَخِي عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ **وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟** فَقَالَ: لاَ أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلاَةَ وَهَذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ ضُيِّعَتْ"[3].

ويبدو في هذا الحديث أنّ أنس بن مالك –رضي الله عنه– قد بكى غَيْرةً على إضاعة الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام، والمقصود بإضاعة الصلاة، تأخيرها عن وقتها، قال ابن حجر العسقلاني: "والمراد بتضييعها تأخيرهاعن وقتها المستحب..."[4]، وخوفًا من وقوع عقاب الله –عز وجل– بإضاعة الصلاة.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، 517/2: رقم الحديث 3623.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأحكام/ باب مَا ذُكِرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَّابٌ، 467/4: رقم الحديث 7154.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة/ باب تضييع الصلاة عن وقتها، 160/1: رقم الحديث 530.

([4]) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (14/2)

المطلب الثالث: البكاء الدال على الخوف والشوق والخشوع:

وورد في صحيح البخاري ثلاثة أحاديث تحمل هذه المعاني، وهي:

قول عائشة –رضي الله عنها– وهي تصف أبا بكر –رضي الله عنه– بقولها: "**وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ** ..."[1]، فكان أبو بكر –رضي الله عنه– شديد البكاء عند تلاوة القرآن الكريم، وهذه دلالة واضحة على خشوعه وتدبره عند التلاوة، ومعنى لا يملك عينيه؛ أي: "لا يطيق إمساكهما عن البكاء من رقة قلبه"[2]؛ كما ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ...وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، **فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**"[3]، الشاهد من الحديث قوله (ففاضت عيناه)، ومعنى الفيض لغة: السيلان بكثرة، قال صاحب اللسان: "فاض الماء: كَثُر حتى سال كالوادي"[4]، ودلالة البكاء في هذا الموضع هي الشوق إلى لقاء الله –عز وجل– والخوف من عقابه وخشوع القلب، فدلالة البكاء حملت معنى الخوف والشوق والخشوع، قال ابن عثيمين: "ففاضت عيناه شوقًا إلى ربه عز وجل...؛ لأن القلب إذا صفا وخلا من غير الله صار عنده من الخشوع والشوق إلى الله –عز وجل– والخوف من عقابه ما لا يكون إذا كان متعلقًا بغير الله– سبحانه وتعالى"[5].

وعَنْ أَنَسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حَتَّى أَحْفَوْهُ المَسْأَلَةَ، فَغَضِبَ فَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ» فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ يَمِينًا وَشِمَالًا، **فَإِذَا كُلُّ رَجُلٍ لاَفٌّ رَأْسَهُ فِي ثَوْبِهِ يَبْكِي**..."[6]، فقد بكى الصحابة –رضي الله عنهم– خوفًا من غضب الله لغضب رسول الله– صلى الله عليه وسلم–، قال أحمد الشافعي في

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس، 147/1: رقم الحديث 476.

([2]) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (234/7).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/ باب الصدقة باليمين، 398/1: رقم الحديث 1423.

([4]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فَاضَ).

([5]) ابن عثيمين، فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (100/3).

([6]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات/ باب التعوذ من الفتن، 251/4: رقم الحديث 6362.

بيان دلالة بكاء الصحابة: "فإذا كل رجل لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي خوفًا من غضب الله لغضب رسول الله"[1].

المطلب الرابع: البكاء الدال على الفرح والسرور:

فقد يبكي الإنسان فرحًا وسرورًا عند سماعه بشرى تسعده، أو خبرًا يفرحه، وورد في صحيح البخاري ثلاثة أحاديث تحمل هذه الدلالة:

عن أبي هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذْ قَالَ: بَيْنمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا، **فَبَكَى عُمَرُ**، وَقَالَ: أَعَلَيْكَ أَغَارُ يَا رَسُولَ اللَّهِ"[2]، ففي هذا الحديث يروي النبي– صلى الله عليه وسلم– رؤيا لأصحابه قد رآها في منامه، يرى فيها قصرًا جميلًا في الجنة فأُعجب به؛ فسأل لمن هذا القصر؟ فقيل له لعمر بن الخطاب، فبكى عمر عند سماعه هذا الخبر فرحًا واستبشارًا برؤيا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وجميع شراح الحديث قالوا إنّ بكاء عمر –رضي الله عنه– كان فرحًا وسرورًا بسماعه هذه البشرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– لِأُبَيٍّ: "إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾ قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» **فَبَكَى**"[3]، قال أكثر شرّاح الحديث إنّ بكاء أُبَيّ كان فرحًا وسرورًا واستبشارًا بأنّ الله –سبحانه وتعالى– قد ذكر اسمه فدلّ بكاؤه على سروره، وبذلك قال أحمد بن إسماعيل الشافعي[4]، وزكريا الأنصاري[5]، ومنهم من قال إن بكاءه كان فرحًا أو خوفًا؛ أي: فرحًا بهذه البشرى، أو خوفًا من تقصيره في شكرها، وبذلك قال شمس الدين البِرماوي[6]، وأجمل ما قيل في شرح هذا الحديث هو شرح بدر الدين العيني، حيث قال: "وَأما بكاؤه فَلِأَنَّهُ استحقر نَفسه وتعجب وخشي؛ وَهَذَا لِأَن

([1]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (26/11).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، 403/2: رقم الحديث 3242.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ بَابُ مناقب أبي بن كعب –رضي الله عنه–، 13/3: رقم الحديث 3809.

([4]) انظر: أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (362/8).

([5]) انظر: الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (256/8).

([6]) انظر: البِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (372/10).

شَأْن الصَّالِحين إذا فرحوا بِشَيْء خلطوه بالخشية"[1]؛ أي: إنّ بكاءه كان فرحًا ممزوجًا بشيء من الخوف والخشية.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: "قَالَ لِي النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا**﴾ قَالَ: «أَمْسِكْ» **فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ**"[2]، والشاهد من الحديث قوله: (فإذا عيناه تذرفان)؛ أي تسيلان دمعًا، قال ابن منظور: "ذَرَفَ الدَّمعُ: سَالَ"[3]، ويُحتمل أن يكون بكاء النبي– صلى الله عليه وسلم –كان فرحًا كما قال بذلك بعض شُرّاح الحديث، فقال بدر الدين العيني إنّ في بكاء النبي– صلى الله عليه وسلم– ثلاثة وجوه، والوجه الثالث منها: "أَنه بَكَى فَرحًا لقبُول شَهَادَة أمته –صلى الله عليه وسلم– يَوْم الْقِيَامَة وَقبُول تزكيته لَهُم فِي ذَلِك الْيَوْم الْعَظِيم"[4]، وقال شهاب الدين القسطلاني: "أو هو بكاء فرح لا بكاء جزع؛ لأنه تعالى جعل أمته شهداء على سائر الأمم"[5]، فتكون بذلك دلالة البكاء في هذا الموقف تحمل معنى الفرح.

المطلب الخامس: البكاء الدال على الحب:

وقد يأتي البكاء للدلالة على الحب، وورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ **يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ**، فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– لِعبَّاسٍ: "يَا عَبَّاسُ، أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا" فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ» قَالَتْ: لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ"[6]، والشاهد من الحديث قوله: (يبكي ودموعه تسيل على لحيته)، ومن سياق الحديث تظهر لنا دلالة بكاء

([1]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (309/19).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا}، 251/3: رقم الحديث 4582.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذَرَفَ).

([4]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (174/18).

([5]) شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (83/7).

([6]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق/ باب شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ، 549/3: رقم الحديث 5283.

مغيث هي حبه لزوجته التي رغب في العودة إليها والزواج بها، والذي يدل على أنّ بكاءه كان حبًا هو قول النبي –صلى الله عليه وسلم– لعباس: "لا تعجب من حب مغيث بريرة...".

المطلب السادس: البكاء الدال على الندم:

وقد يبكي الإنسان ندمًا على فعل مخطئٍ قام به أو على ذنب اقترفه، فيبكي ويطلب المسامحة ممن أساء إليه أو أخطأ في حقه، وورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة:

حديث رواه البخاري في صحيحه عن الزهري، جاء فيه: "أَنَّ عَائِشَةَ، حُدِّثَتْ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا"[1]، فعندما علمت عائشة بذلك نذرت ألا تكلم ابن الزبير –وهو ابن أختها– أبدًا، وذلك تأديبًا له، فشعر عبد الله بن الزبير بالندم على ما قاله في حق خالته عائشة، وأراد أن يطلب العفو والسماح منها، فكلَّم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود ليكونا وسيطين له عند عائشة، فذهبا به إلى عائشة واستئذنوها بالدخول فأذنت لهم، "فَلَمَّا دَخَلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ **وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي**، وَطَفِقَ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا مَا كَلَّمَتْهُ، وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولاَنِ: إِنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ"[2]، فبكى عبد الله بن الزبير عندما دخل على عائشة ندمًا على عقوقه لها، ورجاءً في أن تسامحه وتكلمه، فدلّ بكاؤه على ندمه الشديد.

تبيّن في ختام هذا المبحث أنّ في صحيح البخاري الكثيرَ من الأحاديث التي تحمل معنى البكاء بدلالاته العديدة، فقد بان أنّ البكاء له عدة دلالات في صحيح البخاري كالحزن، والخوف، والغيرة، والخشوع، والفرح، والحب، والندم، وأظهرت الدراسة أنّ الأحاديث التي تحمل معنى البكاء الدال على الحزن هي أكثر دلالات البكاء حضورًا في أحاديث صحيح البخاري.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب الهجرة، 175/4: رقم الحديث 6073.

([2]) المرجع السابق.

المبحث الثاني: دلالات أخرى لحركة العين

لغة العيون لها دلالات أخرى غير البكاء يتم من خلالها إيصال معانٍ عديدة يمكننا معرفتها من خلال النظر إلى الشخص وتحليل نظرات عيونه، ومن هذه الدلالات:

المطلب الأول: دالة الغمز:

يحمل الغمز في اللغة أكثر من معنى؛ فقد يكون بمعنى الإشارة بالعين والحاجب والجفن، أو بمعنى العصر باليد والإشارة باليد[1]، وورد في صحيح البخاري حديثان يحملان هذه الدلالة، وهما:

عَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: "بَيْنَما أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ – حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا – **فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا**، فَقَالَ: يَا عَمِّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ..."[2]، والشاهد من الحديث قوله (فغمزني) وأغلب شُراح الحديث فسروا الغمز –هنا– بالإشارة باليد، ومنهم من قال إن الغمز يحمل المعنيين الإشارة بالعين أو الإشارة باليد، مثل قول علي القاري: "فغمزني أحدهما؛ أي: أشار إليّ بالعين، أو بالمَدّ"[3].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ –عَلَيْهِ السَّلاَمُ– فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ **غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا**"[4]، نلاحظ أنّ عائشة –رضي الله عنها– أشارت إلى الجاريتين دون أن تكلمهما عن طريق الغمز بالخروج، والجاريتان فهمتا هذا الأمر عن طريق الإشارة فخرجتا.

([1]) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَمَزَ).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ باب مَن لم يُخَمِّس الأسلاب ومن قتل قتيلًا فله سلبه من غير أن يُخَمِّس وحُكْم الإمام فيه، 371/2: رقم الحديث 3141.

([3]) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (2579/6).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب في العيدين والتجمل فيهما، 256/1: رقم الحديث 949.

المطلب الثاني: العين الشاخصة:

وغالبًا ما تكون العين شاخصة عند الموت، قال ابن منظور: "وشَخَصَ الرجل ببصره عند الموت يَشخَصُ شُخُوصًا: رفعه فلم يَطْرِف"[1]، وورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذا المعنى، وهو:

عن عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: "**شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–** ثُمَّ قَالَ: "فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى" ثَلاَثًا..."[2]، فقد شخص بصر النبي –صلى الله عليه وسلم– عند الموت وهو يقول في الرفيق الأعلى، قال بدر الدين العيني تعقيبًا على هذا: "شخص بصر النبي –صلى الله عليه وسلم: من الشخوص وَهُوَ ارْتِفَاع الأجفان إِلَى فَوق وتحديد النّظر وانزعاجه"[3].

المطلب الثالث: دالة التتبع:

وقد تحمل نظرات الإنسان معنى التتبع والنظر بخفية، وورد في صحيح البخاري حديثان يحملان هذه الدلالة، وهما:

ورد هذا المعنى في صحيح البخاري في حديث كعب بن مالك الطويل، يقول كعب في الحديث: "وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، **فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ**، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي..."[4]، هذا جزء من حديث كعب بن مالك –رضي الله عنه– يروي فيه تفاصيل قصة تبوك وما جرى معه في هذه القصة، حيث تخلّف هو وصحابيان عن غزوة تبوك فأمر رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– صحابته بمقاطعتهم حتى نزل قرآنًا من فوق سبع سماوات يُظهر صدقهم في التوبة، والشاهد من الحديث قوله: (فأسارقه النظر)؛ أي: إنّ كعبًا –رضي الله عنه– كان يأتي لمجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وينظر إليه بخفية؛ ليرى هل يعفو عنه رسول الله ويسلم عليه أم لا؟ فدلالة النظر

([1]) ابن منظور، لسان العرب، مادة (شَخَصَ).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذًا خليلًا، 530/2: رقم الحديث 3669.

([3]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (186/16).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، 190/3: رقم الحديث 4418.

هنا التتبع بخفية، ويؤكد ذلك بدر الدين العيني في شرحه لهذا الحديث فقال في معنى (فأسارقه النظر): ؛"أي: أنظر إليه في خفية"[1].

وفي حديث طويل جاء فيه: "... ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ **يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَيْنَيْهِ**، قَالَ: فَوَاللهِ! مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ، ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ، كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ، خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ..."[2]، والشاهد من الحديث قوله: (يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه)، بمعنى أنه ينظر إليهم عن بُعد وخفية ويطيل النظر، قال أحمد الشافعي في معنى يرمق بعينيه: "ينظر إليهم خفية"[3] فدلّ النظر –هنا– على التتبع عن بعد وبخفية.

المطلب الرابع: دالة الإعراض:

وقد تحمل نظرات الإنسان معنى الإعراض عن الشيء، وورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

ورد هذا المعنى في حديث كعب الطويل في المقطع السابق نفسه –الذي ورد في دالة التتبع– في قوله: "وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي"؛ أي: بمعنى أنه أعرض عنه ببصره لكونه غاضبًا منه ومقاطعًا له، وبذلك قال حمزة قاسم في شرح هذا الحديث: "أعرض عني؛ أي صرف نظره عني؛ ليظهر لي الغضب والمقاطعة"[4].

المطلب الخامس: دالة طلب الشيء:

بمعنى أنك إذا لاحظت نظرات أي شخص، فإنك ستلحظ من خلال نظراته أنه يريد شيئًا، وورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

ورد ذلك في حديث عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– حيث قالت: "إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي،

([1]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (53/18).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، 248/2: رقم الحديث 2713.

([3]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (336/5).

([4]) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (14/5).

وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– **فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ**، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَتَنَاوَلْتُهُ..."[1]، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– كان يريد السواك، وفطنت عائشة لذلك من خلال نظراته دون أن يتكلم، فدلالة النظر –هنا– طلب الحصول على الشيء.

ويظهر للباحث مما سبق في هذا المبحث أنّ حركة العين لها دلالات أخرى عديدة غير البكاء قد وردت في أحاديث صحيح البخاري، وقد تكون هناك دلالات أخرى لحركة العين غير المذكورة في هذا المبحث؛ إلا إنّ الباحث اقتصر في دراسته على جمع الدلالات الموجودة في صحيح البخاري.

وتبين –للباحث– مما سبق في هذا المبحث وفي الفصل كله أنّ لغة العيون الصامتة ذات أهمية كبيرة في إيصال المعنى المراد منها، ولا تقل أهميتها عن اللغة المنطوقة؛ بل قد تكون لغة العيون الصامتة أبلغ، وأكثر أثرًا من اللغة المنطوقة.

وكشفت الدراسة –أيضًا– بأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– وصحابته الكرام –رضي الله عنهم– قد استعملوا لغة العيون الصامتة بشكل كبير، وهذا يشير إلى مدى أهمية هذه اللغة في إيصال المعنى المراد على الوجه المطلوب.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، 201/3: رقم الحديث 4449.

الفصـل الثانـي

دلالة حركة اليد والرجل

الفصل الثاني: دلالة حركة اليد والرجل

التمهيد: موجز عن الإشارة باليد

لا يمكن لأي شخص أن يكتفِي باللفظ دون الإشارة باليد في أثناء حديثه؛ لكي يتمكن من التعبير عن المعنى المراد، بل إنّ من يفعل ذلك قد يمل الناس من حديثه، قال الدكتور محمود محمد: "وقد يجد المتحدث من اللائق ألا يصرح بلفظ فيشير إشارة تؤدي معناه، فتكون أبرع دلالة وأليق بالمقام"[1]، فالإشارة باليد إذا لازمت النطق باللسان، يكون وقعها أعظم أثرًا، وتلعب دورًا مهمًّا في إقناع المستمعين.

واعتادت المجتمعات على استخدام لغة الإشارة باليد؛ فهي لغة صامتة لا يمكن الاستغناء عنها في أثناء الحديث، وتختلف دلالة لغة الإشارات باليد من مجتمع لآخر، وقد ذكر الدكتور نضال أبو عياش مثالًا على هذا الاختلاف في الدلالة، فقال: "من اختلافات لغة الإشارات ما يفعله البعض بصنع دائرة من الإبهام والسبابة وإطلاق الأصابع الثلاثة مستقيمة، فهذه الإشارة يعني الجودة أو الرضاء في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن هذه الإشارة نفسها يستخدمها الفرنسيون لتعني الصفر أو عدم القيمة لشيء ما"[2].

والإشارة باليد –عادة– يكثر استخدامها بين الأشخاص الذين تربطهم علاقات سابقة، أما الأشخاص الذين يلتقون لأول مرة، فعادة يكتفون بالاتصالات اللفظية في أثناء الكلام والحديث مع بعضهم بعضًا[3].

وللإشارة باليد دلالات عديدة ومتنوعة، وقد وضح بعضها الدكتور خالد الجبر بقوله: "نحن نعبر عن الأشياء بالإشارة إليها بدلًا من نطق أسمائها الدالة عليها أحيانًا، كأن يشير واحد من الناس إلى شجرة؛ وأحيانًا نستخدم الإشارة؛ لتشكيل صورة الشيء الذي نريد التعبير عنه حينما يكون غائبًا، كأن يشير واحد من الناس بيديه إشارات تدل على صفة الطول، وأخرى تدل على الوسامة والقسامة؛ ليدل المتلقي المشاهد على أنه يقصد فلانًا صاحبه الذي يتصف بما تقدم من نعوت"[4].

([1]) محمود محمد، لغة الجسد بين الإسلام والدراسات التنموية البشرية (ص394).

([2]) أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (ص133).

([3]) انظر: الحسن، الاتصالات غير اللفظية (ص100).

([4]) الجبر، لغة الجسد في التراث العربي (ص23).

وقد وردت هذه الدلالات وغيرها في أحاديث صحيح البخاري، سنعرضها ونوضحها في المباحث الآتية –إن شاء الله–.

المبحث الأول: دالة الإشارة باليد

تُعد الإشارة باليد أو بأي عضو من أعضاء الجسد لغة صامتة معمولًا بها، ويترتب عليها أحكام، فإذا أشار شخص بيده فكأنه قال بلسانه، فكثير من الأحيان نستعمل الإشارة باليد أو بأي عضو من أعضاء الجسد للدلالة على طلب شيء، أو توصيل معلومة، أو إصدار حكم، فقد يشير شخص بيده إلى آخر ليطلب منه المجيء فيأتي، وقد أكّد الإمام البخاري –رحمه الله– بأنّ الإشارة جائزة في شرعنا الإسلامي ويؤخذ بها في المعاملات، فقال: "فَإِذَا قَذَفَ الأَخْرَسُ امْرَأَتَهُ، بِكِتَابَةٍ أَوْ إشارة أَوْ بِإِيمَاءٍ مَعْرُوفٍ، فَهُوَ كَالْمُتَكَلِّمِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَدْ أَجَازَ الإشارة فِي الفَرَائِضِ، وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ أَهْلِ الحِجَازِ وَأَهْلِ العِلْمِ"[1]، وقد أورد كلامًا لأهل العلم يدل على أنّ الإشارة معتبرة ومأخوذ بها في أمور الزواج والطلاق وغيرها.

وقد وردت أحاديث كثيرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– في صحيح البخاري تدل على استعمال النبي –صلى الله عليه وسلم– وصحابته الكرام –رضي الله عنهم– للغة الصامتة عن طريق الإشارة باليد، وتحمل هذه اللغة دلالات كثيرة، وهي كما يأتي:

المطلب الأول–الإشارة باليد للدلالة على حكم شرعي وعلى إجابة الفُتيا:

وورد في صحيح البخاري حديثان يحملان هذه الدلالة، وهما:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ، فَقَالَ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ **فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: "وَلاَ حَرَجَ"**، قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ؟ **فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: "وَلاَ حَرَجَ"**[2].

وقد أورد البخاري – رحمه الله– هذا الحديث تحت باب عنونه باسم (باب من أجاب الفُتيا بإشارة اليد والرأس)[3]، والإشارة في هذا الحديث نزلت منزلة القول، ويرى أكثر شرَّاح الحديث بأنّ الإشارة –هنا– أفْهَمَتْ معنى نفي الحرج[4].

وقَالَ النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم: "يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الهَرْجُ؟ **فَقَالَ: "هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ"**[1].

([1]) البخاري: صحيح البخاري، (ج3/ص555–556).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/ باب من أجاب الفُتيا بإشارة اليد والرأس، رقم الحديث 84، 42/1.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، (ج1/ص42).

([4]) انظر: الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (303/1). البِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (412/1). والعيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (91/2).

وفي هذا الحديث نجد أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قد أجاب السائل عن معنى الهرج بإشارة اليد، فدلَّت الإشارة على المعنى المراد، قال حمزة قاسم: "فقال: هكذا يده فحرفها؛ أي حركها كأنه يريد القتل؛ أي فلما سئل – صلى الله عليه وسلم – عن معنى الهرْج حرك يده – صلى الله عليه وسلم – كالضارب يشير بذلك إلى أن معناه القتل"[2].

المطلب الثاني– الإشارة باليد لتوضيح معنى:

ورد في صحيح البخاري تسعة عشر حديثًا تحت هذا المعنى، كالآتي:

عن جُبَير بن مُطْعِم، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أَمَّا أَنَا فَأُفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلاَثًا، **وَأَشَارَ بِيَدَيْهِ كِلْتَيْهِمَا**"[3]، فدلت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– بكلتا يديه على توضيح المعنى.

وعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، **وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ**"[4].

ففي هذا الحديث أراد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يبين للصحابة –رضي الله عنهم– حال المؤمنين في توحدهم، فلم يكتف ببيان ذلك عن طريق القول؛ بل بيَّنه –أيضًا– عن طريق الإشارة وحركة اليد؛ ليقرب إليهم معنى التشبيه أكثر، وأورد ابن رجب كلامًا جميلًا في ذلك فقال: "وهذا التشبيك من النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في هذا الحديث كان لمصلحة وفائدة، لم يكن عبثًا؛ فإنه لما شبه شد المؤمنين بعضهم بعضًا بالبنيان، كان ذلك تشبيهًا بالقول، ثم أوضحه بالفعل، فشبك أصابعه بعضها في بعض؛ ليتأكد بذلك المثال الذي ضربه لهم بقوله، ويزداد بيانًا وظهورًا"[5].

وعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ: "لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ – أَوْ أَحَدًا مِنْكُمْ – أَذَانُ بِلاَلٍ مِنْ سَحُورِهِ، فَإِنَّهُ يُؤَذِّنُ – أَوْ يُنَادِي بِلَيْلٍ – لِيَرْجِعَ قَائِمَكُمْ، وَلِيُنَبِّهَ نَائِمَكُمْ، وَلَيْسَ أَنْ يَقُولَ الفَجْرُ – أَوِ الصُّبْحُ –"، **وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ وَرَفَعَهَا إِلَى فَوْقُ**

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفُتيا بإشارة اليد والرأس، 42/1: رقم الحديث 85.

([2]) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (185/1).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الغسل/ باب من أفاض على رأسه ثلاثًا، 87/1: رقم الحديث 254.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، 148/1: رقم الحديث 481.

([5]) ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري (419/3–420).

وَطَأْطَأَ إِلَى أَسْفَل حَتَّى يَقُولَ هَكَذَا، وَقَالَ زُهَيْرٌ: «بِسَبَّابَتَيْهِ إِحْدَاهُمَا فَوْقَ الأُخْرَى، ثُمَّ مَدَّهَا عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ"[1].

وفي هذا الحديث نجد أنّ اللفظ جاء مقرونًا بالإشارة؛ ليدل على المعنى بدقة وبصورة أوضح، والمقصود بقوله: (قال بأصابعه)؛ أي: أشار، وذلك من باب إطلاق القول على الفعل، ودليل على أنّ الإشارة تؤدي ما يؤديه القول تمامًا؛ بل قد تكون الإشارة أبلغ في كثير من الأحيان، وقوله: (حتى يقول هكذا)؛ أي: حتى يظهر، وهذا –أيضًا– من إطلاق القول على الفعل، وقوله: (وقال زهير بسبابتيه)؛ أي: أشار بهما، وفيه –أيضًا– إطلاق القول على الفعل، وقوله: (ثم مدهما عن يمينه وشماله)، يعني: أنه مدّ إصبعيه متفرقتين عن يمينه وشماله؛ أي: إحداهما ذاهبة إلى جهة اليمين، والأخرى ذاهبة إلى جهة الشمال، كأنه جمع بين إصبعيه ثم فرقهما؛ ليحكي صفة الفجر الصادق؛ لأنه يطلع معترضًا، ثم يعمم الأفق ذاهبًا يمينًا وشمالًا. ونلاحظ –أيضًا– استعمال الإشارة بأصابع اليد بشكل أساسٍ في هذا الحديث؛ وذلك لتوضيح الصورة بشكل كامل ودقيق[2].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: "قَالَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، **وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ** وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ"[3].

أكثر شُرَّاح الحديث فسروا قوله: (وأشار بيده على أنفه)، بأنها: جملة معترضة بين المعطوف عليه وهو على الجبهة والمعطوف وهو (اليدين) والغرض منهما أنهما عضو واحد، ومعنى (أشار)؛ أي: أمرّ بتشديد الراء، ويستفاد من الحديث –كما قال بذلك أكثر شراح الحديث– بأنّ السجود على الجبهة واجب، بينما السجود على الأنف مستحب، ولهذا عبر عن الجبهة باللفظ وعبَّر عن الأنف بالإشارة؛ أي: إنّ الأنف تبع لها[4].

وقال ابن عباس –رضي الله عنهما: "قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: "آمُرُكُمْ

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/ باب الأذان قبل الفجر، 181/1: رقم الحديث 621.

([2]) انظر: الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري (285/8).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/ باب السجود على الأنف، 228/1: رقم الحديث 812.

([4]) انظر: الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (527/2). وشمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (168/5). وعمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، 92/6.

بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ – **وَعَقَدَ بِيَدِهِ هَكَذَا** – وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ ... "[1].

عقد النبي –صلى الله عليه وسلم– للدلالة على العدّ؛ ليتضح المراد بشكل أبسط، قال شمس الدين الكرماني معنى النبي –صلى الله عليه وسلم: " ؛أي: كما يعقد الذي يعد واحدة"[2].

وعَنْ جَبَلَةَ بْنِ سُحَيْمٍ، قَالَ: "سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم: **(الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا) وَخَنَسَ الإِبْهَامَ فِي الثَّالِثَةِ**"[3].

فدلت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث بيده على توضيح عدد أيام الشهر، قال بدر الدين العيني مفسرًا معنى هذه الإشارة: "قَوْله: (هَكَذَا وَهَكَذَا)، أَشَارَ بيدَيْهِ الكريمتين ناشرًا أَصَابِعه مرَّتَيْنِ، فَهَذِهِ عشرُون، وقَوْله: (وخنس الْإِبْهَام فِي الثَّالِثَة)؛ أي: أَشَارَ فِي الْمرة الثَّالِثَة بيدَيْهِ ناشرًا أَصَابِعه، وخنس الْإِبْهَام فِيهَا فَهَذِهِ تِسْعَة، فالجملة تِسْعَة وَعِشْرُونَ يَوْمًا"[4].

وعن ابن جريج؛ قال: "أَخْبَرَنِي يَعْلَى بْنُ مُسْلِمٍ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ – يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَغَيْرُهُمَا، قَالَ: قَدْ سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُهُ عَنْ سَعِيدٍ– قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: حَدَّثَنِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم: فَانْطَلَقَا، فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ – **قَالَ سَعِيدٌ: بِيَدِهِ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ** – فَاسْتَقَامَ، قَالَ يَعْلَى: حَسِبْتُ أَنْ سَعِيدًا، قَالَ: فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ، فَاسْتَقَامَ، ﴿**لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾[5] قَالَ سَعِيدٌ: «أَجْرًا نَأْكُلُهُ»"[6].

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة/ باب وجوب الزكاة، 390/1: رقم الحديث 1398.

([2]) شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (171/7).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:"إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فافطروا، 9/2: رقم الحديث 1908.

([4]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (281/10).

([5]) الكهف، 77.

([6]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإجارة/ باب الإجارة إلى نصف النهار، 101/2: رقم الحديث 2267.

ودلت الإشارة باليد في هذا الحديث على كيفية إقامة الجدار، قال شهاب الدين القسطلاني: "قال سعيد –هو ابن جبير– أشار الخضر بيده إلى الجدار هكذا، ورفع؛ أي: الخضر– يديه –بالتثنية– إلى الجدار ومسحه فاستقام"[1].

وعَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ– صلى الله عليه وسلم– فَلَمَّا أَبْصَرَ – يَعْنِي أُحُدًا – قَالَ: مَا أُحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا، يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلاَثٍ، إِلَّا دِينَارًا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ، **إِلَّا مَنْ قَالَ بِالْمَالِ هَكَذَا وَهَكَذَا – وَأَشَارَ أَبُو شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ**– وَقَلِيلٌ مَا هُمْ..."[2].

أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث أنّ الأكثرين أموالًا في الدنيا هم الأقلون ثوابًا وأجرًا، وقد استثنى من هؤلاء الذين ينفقون هذه الأموال على الفقراء ومستحقيها في وجوه الخير يمينًا وشمالًا وفي كل مكان، وقد وضح الراوي قول النبي –صلى الله عليه وسلم– بإشارة يده عن اليمين والشمال للدلالة على توضيح المعنى المقصود، والقول باليد لا يعني القول باللسان –كما ذكر ذلك العديد من شراح الحديث– تقول العرب: قال بيده؛ أي: أخذ أو أعطى، وقال برجله؛ أي: مشى[3].

وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا– "أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– **دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا**، يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ **مِثْلُ هَذِهِ**" **وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا**، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ"[4].

وفي هذا الحديث نجد أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد حلّق بإصبعيه؛ لبيان حجم الردم الذي فُتح وتوضيحه محاولة منه؛ لتقريب صورة الكلام المنطوق باللغة الصامتة من خلال إشارة اليد، وقد نُقِلَ عن القرطبي بأنه قال: "هذا إخبار وتفسير من الصحابة التي شاهدت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم إن الرواة بعدهم عبّروا عن ذلك باصطلاح الحُسّاب، فقال

([1]) شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (131/4).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحوالات/ باب أداء الديون، 141/2: رقم الحديث 2388.

([3]) انظر: أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (78/5). والأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (156/5–157). والبِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (374/7).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قصة يأجوج ومأجوج، 432/2: رقم الحديث 3346.

بعضهم: وعقد سفيان بيده عشرة، وقال بعضهم: وعقد وهيب بيده تسعين، وهذا تقريب في العبارة"[1].

وجاء في حديث الخضر الطويل مع موسى –عليهما السلام: "... فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ البَحْرِ مَرُّوا بِغُلاَمٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ، **فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ فَقَلَعَهُ بِيَدِهِ هَكَذَا – وَأَوْمَأَ سُفْيَانُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ كَأَنَّهُ يَقْطِفُ شَيْئًا** – فَقَالَ لَهُ مُوسَى: **أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ...**"[2].

ونلاحظ في هذا الحديث أنّ استعمال إشارة اليد دلّ على وصف المشهد وتقريب المعنى وبيانه كأننا نشاهده، وأن إيماء راوي الحديث بأطراف أصابعه دلّ على زيادة وضوح المعنى المقصود، فظهر لنا من خلال القول باللسان والإشارة باليد أنّ المشهد مليء بالقسوة والشدة، فمعنى القلع في اللغة: "انتزاع الشيء من أصوله"[3]، والإيماء بأطراف الأصابع لبيان كيفية القلع زاد من شدة المشهد.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ المَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَالسِّلْسِلَةِ عَلَى صَفْوَانٍ – قَالَ عَلِيٌّ: وَقَالَ غَيْرُهُ: صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ – فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الحَقَّ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ، **وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَكَذَا وَاحِدٌ فَوْقَ آخَرَ – وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ اليُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ** –..."[4].

وفي هذا الحديث يصف الراوي قول النبي –صلى الله عليه وسلم– (ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر)، باللغة الصامتة من خلال بسط أصابع يده اليمنى، ثم نَصْبِها بعضها فوق بعض، فيشبه أصابع يده بمسترقي السمع؛ لتتضح الصورة ويقرب المعنى، قال زكريا الأنصاري: "وقد نصبها بعضها فوق بعض، بيَّن به كيفية ركوب بعض المستمعين على بعض... وفيه

([1]) محمد الشافعي، الكوكب الوهّاج شرح صحيح مسلم (66/26).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، 453/2: رقم الحديث 3401.

([3]) ابن منظور لسان العرب، مادة (قَلَعَ).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ}، 307/3: رقم الحديث 4701.

معنى التشبيه؛ أي: ركوب بعض مسترقي السمع فوق بعض كركوب بعض أصابعي هذه فوق بعض"[1].

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– **قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ، بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**"[2].

أشار النبي –صلى الله عليه وسلم– بإصبعيه الوسطى والسبابة وقصد من ذلك أنّ مبعثه وقيام الساعة متقاربان كتقارب إصبعي الوسطى والسبابة، فدلّت الإشارة بإصبعيه على توضيح المعنى. قال شمس الدين البرماوي: "والغرَض أنَّ مَبْعثه –صلى الله عليه وسلم– من أشراط القيامة، وهما متقاربان"[3].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم: "وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا، **وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا**"[4].

ودلالة هذه الإشارة كدلالتها في الحديث السابق، أشار بالسبابة والوسطى؛ لأنهما متلاصقتان ببعضهما، وكذلك في الجنة يكون كافل اليتيم بجوار المصطفى –صلى الله عليه وسلم.

وعن أنسِ بنِ مَالِكٍ –رضي الله عنه: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم: أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَنُو النَّجَّارِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ ثم **قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ**، ثُمَّ قَالَ: وَفِي كُلِّ دُورِ الأَنْصَارِ خَيْرٌ"[5].

جاء هذا الحديث في بيان فضل الأنصار –رضي الله عنهم– ومناقبهم، والشاهد فيه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قد قبض أصابع يده ثم بسطهن ليدل ذلك على تعميم الفضل والخير على جميع دور الأنصار، ومصداقا لذلك، أنشد حسان بن ثابت يعدد مناقب الأنصار مع –رسول الله صلى الله عليه وسلم– إذ يقول:

([1]) الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (723/7).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا}، 440/3: رقم الحديث 4936.

([3]) البِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (27/13).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق/ باب اللِّعَان، 557/3: رقم الحديث5304.

([5]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق/ باب اللِّعَان، 556/3: رقم الحديث5300.

قَومٌ هُمُ شَهِدوا بَدراً بِأَجمَعِهِم مَعَ الرَسولِ فَما أَلوا وَما خَذَلوا

وَبايَعوهُ فَلَم يَنكُث بِهِ أَحَدٌ مِنهُم وَلَم يَكُ في إيمانِهِم دَخَلُ

وَيَومَ صَبَّحَهُم في الشِبِ مِن أُحُدٍ ضَربٌ رَهينٌ كَحَرِّ النارِ مُشتَعِلُ

وَيَومَ ذي قَرَدٍ يَومَ اِستَثارَ بِهِم عَلى الجِيادِ فَما خاموا وَلا نَكَلوا

وَذا العَشيرَةِ حاسوها بِخَيلِهِمُ مَعَ الرَسولِ عَلَيها البيضُ وَالأَسَلُ

وَيَومَ وَدّانَ أَجلَوا أَهلَهُ رَقَصاً بِالخَيلِ حَتّى نَهانا الحَزنُ وَالجَبَلُ

وَلَيلَةً طَلَبوا فيها عَدُوَّهُمُ لِلَّهِ وَاللَهُ يُجزيهِم بِما عَمِلوا

وَغَزوَةً يَومَ نَجدٍ ثَمَّ كانَ لَهُم مَعَ الرَسولِ بِها الأَسلابُ وَالنَفَلُ

وَلَيلَةً بِحُنَينٍ جالَدوا مَعَهُ فيها يَعُلُّهُمُ بِالحَربِ إِذ نَهِلوا

وَغَزوَةَ القاعِ فَرَّقنا العَدُوَّ بِهِ كَما تَفَرَّقَ دونَ المَشرَبِ الرَسَلُ

وَيَومَ بُويِعَ كانوا أَهلَ بَيعَتِهِ عَلى الجِلادِ فَآسَوهُ وَما عَدَلوا

وَغَزوَةَ الفَتحِ كانوا في سَرِيَّتِهِ مُرابِطينَ فَما طاشوا وَلا عَجِلوا

وَيَومَ خَيبَرَ كانوا في كَتيبَتِهِ يَمشونَ كُلُّهُمُ مُستَبسِلٌ بَطَلُ

بِالبيضِ تَرعَشُ في الأَيمانِ عارِيَةً تَعوَجُّ في الضَربِ أَحياناً وَتَعتَدِلُ

وَيَومَ سارَ رَسولُ اللهِ مُحتَسِباً إِلى تَبوكُ وَهُم راياتُهُ الأُوَلُ

وَساسَةُ الحَربِ إِن هَربٌ بَدَت لَهُمُ حَتّى بَدا لَهُمُ الإِقبالُ وَالقَفَلُ

أولَئِكَ القَومُ أَنصارُ النَبِيِّ وَهُم قَومي أَصيرُ إِلَيهِم حينَ أَتَّصِلُ

ماتوا كِراماً وَلَم تُنكَث عُهودُهُمُ وَقَتلُهُم في سَبيلِ اللهِ إِذ قُتِلوا[1]

قال ابن حجر: "قوله (ثم قال بيده فقبض أصابعه ثم بسطهن كالرامي بيده) ففيه استعمال الإشارة المُفْهِمة مقرونة بالنطق، وقوله (كالرامي بيده)؛ أي: كالذي يكون بيده الشيء قد ضَمَّ أصابعه عليه ثم رماه فانتشر"[2].

وَقَالَ أَيُّوبُ: "سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: رَجُلٌ لاَعَنَ امْرَأَتَهُ، **فَقَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ - وَفَرَّقَ سُفْيَانُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى** - فَرَّقَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بَيْنَ أَخَوَيْ بَنِي العَجْلاَنِ"، وَقَالَ: (اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ) ثَلاَثَ مَرَّاتٍ"[3].

فرق سفيان بين إصبعيه في أثناء روايته للحديث للدلالة على التفريق بين الرجل وامرأته، وجملة (وفرق سفيان بين إصبعيه، السبابة والوسطى) هي جملة معترضة، أخبر شهاب الدين القسطلاني أنّ الراوي أراد بها بيان الكيفية[4]؛ أي: للدلالة على تقريب معنى التفريق بين الرجل وامرأته وتوضيحه.

وعن قَتَادَةَ، قَالَ: "سَمِعْتُ أَبَا عُثْمَانَ النَّهْدِيَّ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ، وَنَحْنُ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ بِأَذْرَبِيجَانَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَهَى عَنِ الحَرِيرِ **إِلَّا هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ اللَّتَيْنِ تَلِيَانِ الإِبْهَامَ، قَالَ: فِيمَا عَلِمْنَا أَنَّهُ يَعْنِي الأَعْلاَمَ**"[5].

أشار النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث بإصبعيه السبابة والوسطى للدلالة عن المستثنى منه، فقد نهى عن لبس الحرير وأشار بيده؛ ليستثني من هذا النهي ما كان على مقدار إصبعين من الأعلام، والمقصود بالأعلام؛ أي: المطرز من الثياب.

([1]) ديوان حسان بن ثابت، (503/1- 504).

([2]) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري (441/9).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الطلاق/ باب قَوْلِ الإِمَامِ لِلْمُتَلاَعِنَيْنِ: «إِنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ»، 560/3: رقم الحديث 5312.

([4]) انظر: شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (178/8).

([5]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس/ باب لُبْسِ الحَرِيرِ وَافْتِرَاشِهِ لِلرِّجَالِ، وَقَدْرِ مَا يَجُوزُ مِنْهُ، 121/4: رقم الحديث 5828.

وعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –: لاَ يَزْنِى الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِى وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَقْتُلُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، قَالَ عِكْرِمَةُ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ؟ **قَالَ: «هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا، فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ**"[1].

نلاحظ في هذا الحديث أنّ ابن عباس أجاب عن سؤال عكرمة عن كيفية نزع الإيمان بإشارة اليد؛ وذلك لتقريب الفهم وتبسيط المعنى، قال أبو الحسن المباركفوري: "وفعل التشبيك تعبير للأمر المعنوي بالمدرك الحسي تقريبًا للفهم"[2]، فدلالة الإشارة باليد في الحديث هي توضيح المعني.

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، **وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا** –**وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ**– أَوْ يَرْحَمُ، وَإِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ"[3].

لم يكتف النبي –صلى الله عليه وسلم– باللفظ لبيان خطورة اللسان، وإنما استعان بإشارة اليد زيادةً في توضيح خطورة هذا الأمر، ولو اكتفى باللفظ لفُهِم المعنى المراد، لكن اقترن اللفظ بالإشارة لإيصال دلالة معينة.

وهذا الحديث فيه نظر، ينبغي أن ينبه هنا إلى لفظ البخاري: (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه) بأنه لا يعذب بكل البكاء، فالبكاء الذي تدمع فيه العين، ولا شق، ولا لطم معه، لا يؤاخذ صاحبه به، وقد وضح ذلك ابن تيمية، وضعف ما ذهب إليه البخاري والقرطبي ومن سلك مسلكهم في فقه الأحاديث التي أخبرت بأن الميت يعذب ببكاء الحي، فقد قال –رحمه الله– بعد أن ذكر النصوص الواردة في ذلك، وأنكر ذلك طوائف من السلف، واعتقدوا بأن ذلك من باب تعذيب الإنسان بذنب غيره، فهو مخالف لقوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)، وإنما قال بعض العلماء أو أكثرهم: إنما يعذب الميت ببكاء الحي، إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره،

كما قال طرفة بن العبد:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحدود وما يحذر من الحدود/ باب إثم الزناة، 368/4: رقم الحديث 6809.

([2]) المباركفوي، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (127/1).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب البكاء عند المريض، 362/1: رقم الحديث 1304.

فَإِنْ متُّ فَانْعِينِي بما أنا أهلُهُ وَشُقِّيْ عليَّ الجَيْبَ يا ابنةَ مَعبدِ[1]

وجاء في جمهرة خطب العرب: "لما استُخلف عمر بن عبد العزيز، قدم عليه وفود كلِّ بلد، فتقدم إليه وفدُ أهلِ الحجاز، فبرز منهم غلام للكلام، فقال عمر بن عبد العزيز: يا غلامُ؛ ليتكلمَ مَنْ هو أسن منك، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين: إنما المرءُ بأصغريه: قلبِه ولسانِه، فإذا منح اللهُ العبد لسانا لافظا، وقلبا حافظاً، فقد استجاد له الحلية، ولو كان التقدم بالسن؛ لكان في هذه الأمة من هو أحق منك، فقال عمر: صدقتَ، تَكَلَّم"[2].

وأنشد زهير بن أبي سلمى:

لِسَانُ الفتى نِصْفٌ ونِصفٌ فؤَادُهُ فلم يبق إلا صورةُ اللَّحمِ والدَّمِ[3]

وفي حديث طويل "عَنْ عِمْرَانَ، قَالَ: كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالُوا: مَا حَبَسَكِ يَا فُلاَنَةُ، قَالَتْ: العَجَبُ لَقِيَنِي رَجُلاَنِ، فَذَهَبَا بِي إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِئُ فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، **فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ، وَقَالَتْ: بِإِصْبَعَيْهَا الوُسْطَى وَالسَّبَّابَةِ، فَرَفَعَتْهُمَا إِلَى السَّمَاءِ - تَعْنِي السَّمَاءَ وَالأَرْضَ** - أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا..."[4].

ويظهر لنا من خلال هذا الحديث أنّ المرأة التي أُتي بها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما سألها أهلُها عن سبب تأخرها قالت لهم ما حدث من معجزة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووصفت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقولها: (إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه، أو إنه لرسول الله)؛ أي: إنها عندما أرادت أن تعبر عن أنه لا يوجد في الأرض من هو أسحر منه، أشارت باصبعيها؛ لتعبر عن ذلك، فدلّت الإشارة على المقصود من كلامها.

المطلب الثالث-الإشارة باليد للدلالة على الدعاء:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

([1]) طرفة بن العبد، ديوان طرفة، (ص29).

([2]) أحمد صفوت، جمهرة خطب العرب، (419/2).

([3]) زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص112).

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التيمم/ باب الصعيد الطيب وضوء المسلم؛ يكفيه من الماء، 110/1: رقم الحديث 344.

عَنْ أَنَسٍ –رضي الله عنه– قَالَ: "بَيْنَمَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، إِذْ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ الكُرَاعُ، وَهَلَكَ الشَّاءُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، **فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا**"[1].

فدلالة حركة اليد في هذا الحديث واضحة؛ فهي تدل على الدعاء والافتقار إلى الله –سبحانه وتعالى–.

وفي ختام هذا المبحث كشفت الدراسة عن أهمية استعمال إشارة اليد بجانب النطق باللسان، فجاءت الإشارة باليد موضحة للمعنى المراد من الكلام المنطوق؛ فهي لا تقل أهمية عن الكلام المنطوق في إيصال المعنى للمتلقي، وتبين للباحث أنّ الأحاديث التي جاءت إشارة اليد فيها للدلالة على توضيح المعنى هي الأكثر حضورًا في صحيح البخاري.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة/ باب المشي إلى الجمعة، 252/1: رقم الحديث 907.

المبحث الثاني: دلالات أخرى للإشارة باليد

لقد وردت الإشارة باليد في صحيح البخاري بشكل كبير في كثير من الأحاديث، وكلها تحمل دلالات عديدة ومتنوعة لإيصال مفهوم معين عن طريق اللغة الصامتة لا عن طريق اللفظ، وقد تأتي الإشارة في بعض الأحاديث مقرونة باللفظ –أيضًا– لبيان دلالة معينة كما سيأتي، وكما مرّ معنا في المباحث السابقة، وسنعرض في هذا المبحث الأحاديث التي ورد فيها استعمال إشارة اليد لدلالات عديدة، وعددها سبعة عشر حديثًا، وهي كما يأتي:

المطلب الأول– إشارة اليد للدلالة على أمر:

ورد في صحيح البخاري سبعة أحاديث تحمل هذه الدلالة، وهي:

جاء في صحيح البخاري: "...فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، **فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ مَكَانَكَ**، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ..."[1].

ففي هذا الحديث استعمل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اللغة الصامتة عن طريق الإيماء باليد ليوقف أبا بكر –رضي الله عنه– من التراجع، قال زكريا الأنصاري: "فأومأ إليه النبي؛ أي: ولم ينطق له إما لضعف صوته أو لأن مخاطبةَ من في الصلاة بالإيماءِ أولى من النطق"[2]، فدلالة الإيماء باليد في هذا الموضع هي أمر أبي بكر بأن يبقى مكانه لإمامة الناس.

وعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ، أَنَّهَا قَالَتْ: "صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٍ، فَصَلَّى جَالِسًا وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا، **فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنِ اجْلِسُوا**، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا رَكَعَ، فَارْكَعُوا وَإِذَا رَفَعَ، فَارْفَعُوا، وَإِذَا صَلَّى جَالِسًا فَصَلُّوا جُلُوسًا"[3].

فدلت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث على أمره للصحابة بالجلوس في صلاتهم، فانصاعوا للأمر.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/ باب حد المريض أن يشهد الجماعة، 190/1: رقم الحديث664.

([2]) الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (380/2).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/ باب إنما جُعل الإمام ليؤتم به، 198/1: رقم الحديث 688.

وعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ: "كُنْتُ أَمُدُّ رِجْلِي فِي قِبْلَةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ **غَمَزَنِي، فَرَفَعْتُهَا**، فَإِذَا قَامَ مَدَدْتُهَا"[1].

والشاهد في الحديث، قولها: (غمزني فرفعتها)، والغمز لغة: العصر باليد[2]، ودلالة غمز النبي –صلى الله عليه وسلم– لرجل عائشة –رضي الله عنها– طلب إبعاد رجلها من مكان سجوده، فطلب منها ذلك بحركة اليد لا باللفظ؛ لأنه في صلاة، ولا يجوز اللفظ في الصلاة لأي كلام خارج عنها.

وعن صَفْوَان بْنِ يَعْلَى بْنِ أُمَيَّةَ، أَخْبَرَهُ: "أَنَّ يَعْلَى كَانَ يَقُولُ: لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَا النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– بِالْجِعْرَانَةِ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ قَدْ أُظِلَّ بِهِ، مَعَهُ فِيهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ عَلَيْهِ جُبَّةٌ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحْرَمَ بِعُمْرَةٍ فِي جُبَّةٍ بَعْدَمَا تَضَمَّخَ بِالطِّيبِ؟ **فَأَشَارَ عُمَرُ إِلَى يَعْلَى بِيَدِهِ: أَنْ تَعَالَ، فَجَاءَ يَعْلَى...**"[3].

والشاهد من الحديث أنه عندما أشار عمر إلى يعلى –رضي الله عنهما– فَهِم يعلى إشارة عمر بأنه يطلب منه الحضور فجاء في الحال؛ وذلك ليرى النبي –صلى الله عليه وسلم– حال نزول الوحي.

وفي حديث أورده الإمام البخاري –رحمه الله– عن عائشة –رضي الله عنها– تروي فيه قصة مرض النبي –صلى الله عليه وسلم– جاء فيه: "وَأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ تِلْكَ، حَتَّى طَفِقَ **يُشِيرُ إِلَيْنَا: (أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ)**، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ"[4].

والشاهد في الحديث قولها: (يشير إلينا)، ولم يذكر أي من شراح الحديث كيفية هذه الإشارة هل هي باليد، أم بالرأس؟ ولكن من سياق الحديث تبين للباحث أنّه –صلى الله عليه وسلم– قد أشار إليهن بيده ربما لعدم قدرته على الكلام؛ لأنه مريض، وأشار إليهن إشارة تدل

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة/ باب ما يجوز من العمل في الصلاة، 335/1: رقم الحديث 1209.

([2]) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غَمَزَ).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غَزْوَةِ الطائف، 163/3: رقم الحديث 4329.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء/ باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، 74/1: رقم الحديث 198.

على أنه يأمرهن بالتوقف عن صب الماء، وقوله: (أن قد فعلتن) مفسرة للإشارة، كما قال بذلك العديد من شراح الحديث.

وعَنْ حُذَيْفَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: "رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– نَتَمَاشَى، فَأَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ خَلْفَ حَائِطٍ، فَقَامَ كَمَا يَقُومُ أَحَدُكُمْ، فَبَالَ، فَانْتَبَذْتُ مِنْهُ، **فَأَشَارَ إِلَيَّ فَجِئْتُهُ،** فَقُمْتُ عِنْدَ عَقِبِهِ حَتَّى فَرَغَ"[1].

والشاهد في الحديث قوله: (فأشار إليّ فجئته)، ولم يبيّن الراوي هل كانت الإشارة باليد أم بالرأس؛ لذا اختلف شرّاح الحديث في ذلك، فمنهم من قال إن الإشارة كانت بالرأس، ومنهم من لم يجزم بذلك وقال بأنه –صلى الله عليه وسلم– أشار بيده أو برأسه، ودلالة الإشارة –هنا– أنه أراد من حذيفة أن يقترب منه ليستره عن أعين الناس[2].

وجاء في صحيح البخاري: "عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، فَنَادَى: يَا كَعْبُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا، **وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ؛ أَيِ الشَّطْرَ**، قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قُمْ فَاقْضِهِ"[3].

والشاهد في الحديث قوله: (وأمأ إليه؛ أي الشطر)، ولم يوضح الراوي هل كانت الإشارة والإيماء باليد أم بالرأس؟ وقد فسّر ابن رجب أنّ إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– كانت باليد، وقد أشار إشارة مفهمة تدل على أنه يأمره بأن يضع من دَيْنِه الشطر، قال ابن رجب: "وفي إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– بيده، وإيمائه إليه، أن يضع الشطر: دليل على أن إشارة القادر على النطق في الأمور الدينية مقبولة كالفتيا ونحوها"[4].

المطلب الثاني– إشارة اليد للدلالة على مكان:

ورد في صحيح البخاري ثلاثة أحاديث تدل على ذلك، وهي:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء/ باب البول عند صاحبه والتستر بالحائط، 80/1: رقم الحديث 225.

([2]) انظر: الأنصاري، منحة الباري بشرح صحيح البخاري (521/1). وعمدة القاري، بدر الدين العيني، 137/3.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب التقاضي والملازمة في المسجد، 142/1: رقم الحديث 458.

([4]) ابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري (349/3).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، "قَالَ: صَلَّى لَنَا النَّبِيّ –صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ، **فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ المَسْجِدِ**، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمُ الصَّلاَةَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، ثَلاَثًا"[1]، فدلت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– بيده في هذا الحديث على مكان معين في المسجد.

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ: "انْزِلْ فَاجْدَحْ[2] لَنَا"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَمْسَيْتَ؟ قَالَ: "انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا"، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: "انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا"، فَنَزَلَ فَجَدَحَ ثُمَّ قَالَ: "**إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**" **وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ**[3].

فجاءت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث للدلالة على المكان.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– **يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ فَقَالَ: هَا إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا، إِنَّ الفِتْنَةَ هَا هُنَا** مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ"[4].

وجاءت إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث للدلالة على المكان.

المطلب الثالث– إشارة اليد للدلالة على قصر الوقت:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: "فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ –تَعَالَى– شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ" **وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا**"[5]، وفي رواية: **وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر**"[6].

([1]) البخاري: صحيح البخاري/ كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة، 212/1: رقم الحديث 749.

([2]) الجدح: تحريك السويق ونحوه بالماء بعود مبرى الرأس، وقيل اجدح لنا؛ أي: اجلب لنا.

([3]) البخاري: صحيح البخاري/ كتاب الصوم، باب يفطر بما تيسر عليه بالماء وغيره، 23/2: رقم الحديث 1956.

([4]) البخاري: صحيح البخاري/ كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، 411/2: رقم الحديث 3279.

([5]) البخاري: صحيح البخاري/ كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، 259/1: رقم الحديث 935.

([6]) البخاري: صحيح البخاري/ كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأمور، 554/3: رقم الحديث 5294.

وقد وضح النبي –صلى الله عليه وسلم– عن طريق الإشارة بيده بأنّ وقت الساعة التي يعنيها قليل، وجاءت الإشارة بالتقليل للترغيب فيها ولقلة وقتها، وقد نقل محمود السبكي في كتابه المنهل العذب ما يؤيد هذا القول، فقال: "قال ابن المنير: الإشارة لتقليلها هي الترغيب فيها والحضّ عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها"[1]، وفي قوله: (وقال بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر) فيه تقريب المعنى إلى ذهن المتلقي بشكل أوضح، قال شمس الدين الكرماني: "قال بيده؛ أي أشار بها ويحتمل أن يكون وضع الأنملة على الوسطى إيماءً إلى أن تلك الساعة في وسط النهار وعلى الخنصر إلى أنها في آخر النهار"[2].

المطلب الرابع– الإشارة باليد للدلالة على طلب السكوت والتراجع عن الشيء:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

جاء في صحيح البخاري أنّ أم سلمة –رضي الله عنها– أرادت أن تسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن ركعتين صلاهما بعد العصر، فأرسلت إليه جارية فقالت لها: "قُومِي بِجَنْبِهِ فَقُولِي لَهُ: تَقُولُ لَكَ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْتُكَ تَنْهَى عَنْ هَاتَيْنِ، وَأَرَاكَ تُصَلِّيهِمَا، **فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخِرِي عَنْهُ**، فَفَعَلَتِ الجَارِيَةُ، **فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ**، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ، سَأَلْتِ عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ العَصْرِ، وَإِنَّهُ أَتَانِي نَاسٌ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، فَشَغَلُونِي عَنِ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ بَعْدَ الظُّهْرِ فَهُمَا هَاتَانِ"[3].

نلاحظ في هذا الحديث أنّ أم سلمة –رضي الله عنها– أخبرت الجارية بأنه إذا أشار إليك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بيده فاستأخري عنه، وأم سلمة قد علمت بأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا أشار للجارية بيده، فإنّ دلالة هذه الإشارة هي السكوت والابتعاد؛ ولذلك طلبت من الجارية أن تستأخر عنه إذا أشار إليها، ويؤيد هذا الكلام ما قاله حمزة قاسم، حيث قال في شرح معنى هذا الحديث: "فإن أشار إليك بالسكوت فافعلي ما أمرك به، وابتعدي جانبًا حتى يتم صلاته، فذهبت إليه الجارية، وأشار إليها، فسكتت"[4].

([1]) السبكي، المنهل العذب المورود (189/6).

([2]) شمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (212/19).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب السهو/ باب إذا كُلِّمَ وهو يصلي فأشار بيده واستمع، 342/1: رقم الحديث1233.

([4]) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (355/2).

المطلب الخامس- إشارة اليد للدلالة على طلب الحق:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- قَالَ: "لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ مِنْ قِبَلِ العَلاَءِ بْنِ الحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- دَيْنٌ أَوْ كَانَتْ لَهُ قِبَلَهُ عِدَةٌ، فَلْيَأْتِنَا، قَالَ جَابِرٌ: فَقُلْتُ: وَعَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ يُعْطِيَنِي **هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا، فَبَسَطَ يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ**، قَالَ جَابِرٌ: فَعَدَّ فِي يَدِي خَمْسَ مِائَةٍ، ثُمَّ خَمْسَ مِائَةٍ، ثُمَّ خَمْسَ مِائَةٍ"[1].

وفي هذا الحديث نلاحظ أنّ بسط اليد يدلّ على الطلب، فجابر -رضي الله عنه- عندما جاء يطلب حقه بسط يديه للدلالة على ذلك.

المطلب السادس- إشارة اليد للدلالة على التواضع واستمالة النفوس:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عن جرير -رضي الله عنه- قال: "وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ، **فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي**، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا"[2].

ضرب النبي -صلى الله عليه وسلم- في صدر جرير عندما شكى له بأنه لا يثبت على الخيل فيه نوع من التواضع واستمالة النفس وجلب المحبة، وقد يكون فيه نوع من تعزيز الثقة بالنفس، قال بدر الدين العيني: "وَفِيه: أَنه لَا بَأْس للْإِمَام أَو للْعَالم إِذا أَشَارَ إِلَيْهِ إِنْسَان فِي مُخَاطبَة أَو غَيرهَا أَن يضع عَلَيْهِ يَده وَيضْرب بعض جسده، وَذَلِكَ من التَّوَاضُع واستمالة النُّفُوس"[3].

المطلب السابع- إشارة اليد للدلالة على شخص بعينه:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الشهادات/ باب من أمر بإنجاز الوعد، 231/2: رقم الحديث 2683.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب مَنْ لا يثبت على الخيل، 338/2: رقم الحديث 3036.

([3]) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (280/14).

عن أبي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ، يَقُولُ: "أَخْبَرَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ- **وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ**- قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا"[1].

ودلالة إشارة راوي الحديث هنا تدل على صاحب القول يريد عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- فأشار إلى داره؛ ليعلم السامع أنه يريد صاحب الدار.

المطلب الثامن- إشارة اليد للحث على عمل البر:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَاءَ إِلَى السِّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا فَضْلُ، اذْهَبْ إِلَى أُمِّكَ فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا، فَقَالَ: اسْقِنِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ، قَالَ: اسْقِنِي، فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ أَتَى زَمْزَمَ وَهُمْ يَسْقُونَ وَيَعْمَلُونَ فِيهَا، فَقَالَ: اعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تُغْلَبُوا لَنَزَلْتُ، حَتَّى أَضَعَ الحَبْلَ عَلَى هَذِهِ، **يَعْنِي: عَاتِقَهُ، وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقِهِ**"[2].

والشاهد من الحديث قوله: (وأشار إلى عاتقه)، ونلاحظ أنّ اللفظ اقترن بالإشارة، فلم يكتف النبي -صلى الله عليه وسلم- بالقول، وكان باستطاعته أن يقول: (حتى أضع الحبل على عاتقي)، بل قال على هذه وأشار إلى عاتقه، ودلالة ذلك: الحث على عمل البر والثناء على من يقوم بهذا الفعل، قال محمد الرومي: وهذا "فيه حثٌّ على العمل في البر"[3].

المطلب التاسع- الإشارة باليد للتمويه والكتمان:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ، وَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ الغُبَارُ، فَقَالَ: وَضَعْتَ السِّلاَحَ

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الإنسان بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا}، 151/4: رقم الحديث 5970.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحج/ باب سقاية الحاج، 456/1: رقم الحديث 1636.

([3]) ابن المَلَك، شرح مصابيح السنة (325/3).

فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم: فَأَيْنَ، **قَالَ، هَا هُنَا، وَأَوْمَأَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ**، قَالَتْ: فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم"[1].

والشاهد من الحديث: قولها: (وأومأ إلى بني قريظة)، ويحتمل أن يكون الإيماء بالرأس أو باليد، ودلالة الإيماء –هنا– التخفي والتمويه والكتمان، حتى لا يعلم بنو قريظة بالخبر، قال أحمد الشافعي: "كأنه لم يذكر بني قريظة لئلا يبلغهم الخبر، فإن الحرب خدعة"[2].

تبين –للباحث– في ختام هذا المبحث وفي هذا الفصل كله أنّ الإشارة باليد لها دلالات كثيرة ومتنوعة، وأنّ للإشارة باليد أو الإيماء بها أهميةً كبيرة في إيضاح الكلام المنطوق، وقد تُغني الإشارة عن اللفظ في مواطن عديدة.

وتبين –أيضًا– أنه عند الرجوع إلى سنة سيد المرسلين –صلى الله عليه وسلم– نجد استخدام الإشارة واضحًا في التعبير عن المعاني المختلفة، والمضامين المرادة.

وتبين –أيضًا– أنّ حركات اليدين وإشاراتهما تصف لنا الحالة المزاجية للشخص أحيانًا، وتحل محل الكلام أحيانًا أخرى.

وكشفت الدراسة أنّ الإسلام اهتم بالإشارة كأحد المؤثرات في نفسية المستمعين.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب الغسل بعد الحرب والغبار، 280/2: رقم الحديث 2813.

([2]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (410/5).

المبحث الثالث: دلالة حركة الرجل

تبيّن للباحث أن حركة الرجل لم ترد في صحيح البخاري إلا في ستة أحاديث، وهذه الأحاديث على الرغم من قلتها إلا إنها حملت دلالات متنوعة ذات أهمية كبيرة، وهي كما يأتي:

المطلب الأول- حركة الرجل للدلالة على الألم:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَن عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، **تَخُطُّ رِجْلاَهُ فِي الأَرْضِ**، بَيْنَ عَبَّاسٍ وَرَجُلٍ آخَرَ..." [1].

ومعنى ذلك أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يجرُّ رجليه على الأرض ولا يستطيع رفعهما والاعتماد عليهما من شدة المرض؛ فأفاد ذلك بأنّ دلالة حركة الرجل في هذا الموضع هي الألم الشديد.

المطلب الثاني- حركة الرجل للدلالة على الثقة بالنفس:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "صَعِدَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، **فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ**، قَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ".[2]

لم يتطرق أحد من شراح الحديث لدلالة الضرب بالرجل في هذا الحديث، ويظهر من سياق الحديث أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– ضرب الجبل برجله عندما رجف؛ ثقةً منه –صلى الله عليه وسلم– بربه –عز وجل– بأنه لن يتعرض للأذى باضطراب الجبل؛ لوجود النبي والصديق والشهيدان على الجبل، فهذا الموقف يُظهر ثقة النبي –صلى الله عليه وسلم– بربه –سبحانه وتعالى–.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الوضوء/ باب الغسل والوضوء في المخضب والقدح والخشب والحجارة، 74/1: رقم الحديث 198.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم/ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي –رضي الله عنه–، 535/2: رقم الحديث 3686.

المطلب الثالث- حركة الرجل لطلب العفو والمسامحة:

وورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ[1] أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَتَمَعَّرُ[2]، **حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا**[3] **عَلَى رُكْبَتَيْهِ**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ..." [4].

جثا أبو بكر -رضي الله عنه- على ركبتيه طلبًا للشفاعة والعفو عن عمر -رضي الله عنه-، قال أحمد الشافعي: "فجثا على ركبتيه تأدبًا وشفاعة لعمر"[5]، فدلّت حركة الرجل هنا على طلب الشفاعة، وفيها دلالة على أدب أبي بكر -رضي الله عنه- الجم في حضرة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

المطلب الرابع- حركة الرجل للدلالة على السكينة والوقار:

ورد في صحيح البخاري حديثان يحملان هذه الدلالة، وهما:

([1]) تقول: ثَمَمْتُ الشيءَ أَثُمُّهُ بالضم ثمّاً إذا أصلحته ورممته بالثُّمام، ومنه قيل: ثَمَمْتُ أموري إذا أصلحتَها ورَمَمْتَها. (ابن منظور، لسان العرب، مادة: ثمم، 79/12).

([2]) غضب فلان فتَمَعَّر لونُهُ ووجهُهُ؛ أي: تغير وعَلَتْهُ صُفْرَةٌ، وفي الحديث: فتمعر وجهُهُ؛ أي: تغيَّر، وأصلُهُ قة النضارةِ وعدم إشراق اللون، من قولهم: مكانٌ أمعر وهو الجدبُ الذي لا خِصْبَ فيه. (ابن منظر، لسان العرب، مادة: معر، 181/5).

([3]) أي: جلس على ركبيته، يقال: جثا فلان على ركبتيه، ويقول الشاعر: إنّا أُناسٌ مَعَدِّيُّونَ عادَتُنا عند الصِّياح، جُثِيُّ الموتِ للرُّكَبِ. (ابن منظور، لسان العرب، مادة: جثا، 131/14.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذًا خليلًا"، 527/2: رقم الحديث 3661.

([5]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (435/6).

عن أبي هريرة قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، **فَلاَ تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ**، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"[1].

نلاحظ في هذا الحديث أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد نهى عن الإسراع عند الإتيان لأداء الصلاة بقوله: (فلا تأتوها تسعون)؛ لأن المقصود بالسعي –هنا– الإسراع، والإسراع في هذا الموضع فيه دلالة على عدم السكينة، والتعب، وذهاب الخشوع، وحثّ النبي –صلى الله عليه وسلم– على الإتيان لأداء الصلاة بخشوع، وتأن، وطمأنينة، ووقار، بقوله: (وأتوها تمشون)؛ لأن المشي في هذا الموضع يدل على السكينة، والوقار، قال محمود السبكي: "قوله (وأتوها تمشون) أي: بالطمأنينة والسكينة اللتين عليهما مدار الطاعة؛ إذ المقصود من العبادة الحضور مع المعبود... وفى الحديث دلالة على النهى عن الإسراع في المشي إلى الصلاة مطلقًا، سواء فيه صلاة الجمعة وغيرها، وسواء أخاف فوات تكبيرة الإحرام وغيرها أم لا"[2].

وعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: "أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ **تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ** – صلى الله عليه وسلم–، فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–: مَرْحَبًا بِابْنَتِي، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ..."[3].

لم يتحدث أحدٌ من شرّاح الحديث عن دلالة مشي فاطمة –رضي الله عنها–، ولكن من خلال السياق تبين أنّ مشيتها –رضي الله عنها– كانت بسكينة ووقار؛ لأن عائشة –رضي الله عنها– شبهت مشيتها بمشي النبي –صلى الله عليه وسلم–، ومعلوم لدينا أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يغلب عليه السكينة والوقار.

المطلب الخامس– حركة الرجل للدلالة على الكِبْر والخُيَلاء:

ورد في صحيح البخاري حديث واحد يحمل هذه الدلالة، وهو:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجمعة/ باب رفع اليدين في الخطبة، 258/1: رقم الحديث 932.

([2]) السبكي، المنهل العذب المورود (272/4).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب علامات النبوة في الإسلام، 517/2: رقم الحديث 3623.

عن أبي هريرة قال: "قَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– أَوْ قَالَ أَبُو القَاسِمِ –صلى الله عليه وسلم–: بَيْنَمَا رَجُلٌ **يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ**، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ"[1].

يحذر النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث من هيئة غير لفظية سيئة تدل على الكبر والخيلاء، ألا وهي المشي بعُجْب واستكبار، بحيث أنّ كل من ينظر إلى هذه المشية، يقرأ فيها معنى الكبر والخيلاء، قال النووي في معنى قوله (يمشي في حلة تعجبه نفسه): "أي عنده من الخيلاء والكبرياء والغطرسة ما عنده"[2].

كشفت الدراسة في نهاية هذا الفصل عن أنه رغم قلة الأحاديث الدالة على حركة الرجل؛ إلا إنه ورد عدد من الأحاديث ذات أهمية كبيرة في دلالة حركة الرجل، فقد وردت أحاديث في صحيح البخاري تحمل دلالات متنوعة لحركة الرجل، مثل حركة الرجل الدالة على المرض، وعلى التواضع، وعلى السكينة والوقار، وعلى الثقة بالنفس، وكذلك حذرت السنة النبوية من حركة سيئة لحركة الرجل، ألا وهي المشي بخيلاء وكبر واستعلاء.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب اللباس/ باب مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلاَءِ، 111/4: رقم الحديث 5789.

([2]) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين (553/3).

الفصـل الثالث

دلالة حركة الرأس والوجه

الفصـل الثالث: دلالة حركة الرأس والوجه

التمهيد: مقدمة عن تعبيرات الوجه

عند مقابلتك لشخص ما لأول مرة، فإنك ستأخذ انطباعًا أوليًّا عن شخصيته من خلال تعبيرات وجهه، قال الدكتور نضال أبو عياش: "تشكل تعبيرات الوجه أول انطباع يلفت نظرك عند مقابلتك لشخص ما لأول مرة"[1]، ويمكننا –غالبًا– أن نقرأ مشاعر الآخرين من خوف، أو حزن، أو سعادة، أو دهشة من خلال سمات وجوههم، قال تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم**﴾[2]؛ لذلك يمكننا القول إن تعبيرات الوجه من أهم اللغات الصامتة، وأكثرها شيوعًا، ويمكننا القول –أيضًا– إنّ الوجه صفحة يُكتب عليها دلالات الحالة النفسية التي يشعر بها الشخص.

ونقل الدكتور محمود محمد كلامًا في ذلك عن أحد خبراء فن الخطابة وعلمائه، فقال: "الوجه كله معبر عن الانفعالات بما يترسم على صفحته من خطوط وأشكال، فارتفاع خطوط الجبهة قليلًا يمثل الانتباه، وارتفاعها كثيًرا يرسم الدهشة أو الفرح العظيم أو الألم الأليم، وانخفاضها يدل على القلق والتفكير"[3].

وقال عثمان بن عفان –رضي الله عنه– كلامًا يدل على صحة ذلك: "ما أسرّ أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه"[4]، بمعنى أنّ الوجه يُظهِر ما يخفيه المرء في نفسه ووجدانه، فنستدل على الحالة النفسية للشخص من خلال ذلك.

وتعبيرات الوجه لها دور كبير في إقناع الآخرين، قال الدكتور ربحي الحسن: "وقد بيَّنت إحدى الدراسات أنّ الشخص الذي يحاول أن يقنع شخصًا آخر أو أشخاصًا آخرين يستخدم تعبيرات وجهه بدرجة كبيرة"[5].

([1]) أبو عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق (ص122).

([2]) [سورة الفتح: 29].

([3]) محمود محمد، لغة الجسد بين الإسلام والدراسات التنموية البشرية (ص377).

([4]) ابن تيمية، مجوع الفتاوى (110/14).

([5]) الحسن، الاتصالات غير اللفظية (ص101).

المبحث الأول: حركة الرأس والوجه للدلالة على الغضب

لحركة الرأس والوجه دلالة واضحة في كثير من الأحيان للتعبير عما يكمن في النفس من حالة الغضب وعدم الرضا أو الانزعاج من أي شيء، ويبدو ذلك واضحًا من خلال احمرار الوجه وتمعره أو من خلال العديد من تعبيرات الوجه التي تدل على حالة الغضب، وورد في صحيح البخاري خمسة عشر حديثًا بانت فيها حركة الرأس والوجه الدالة على الغضب، وهذه الأحاديث هي كما يأتي:

عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، **فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الغَضَبُ فِي وَجْهِهِ**، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا"[1].

يبدو واضحًا من كلام عائشة -رضي الله عنها- في هذا الحديث أنّ الغضب يبدو في وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خلال تعبيرات الوجه، وغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الموضع؛ لأنه يريد لصحابته اليسر وهم يريدون لأنفسم العسر[2].

وعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: اعْرِفْ وِكَاءَهَا، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ **فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ**، فَقَالَ: وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ المَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا، قَالَ: فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ"[3]. وفي رواية أخرى: **فَتَمَعَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم**"[4].

ونلاحظ في هذا الحديث أن احمرار الوجه وتمعره يحملان معنى الغضب ويدلان عليه، وسبب غضب النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أورده شهاب الدين القسطلاني

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان/ باب قول النبي "أنا أعلمكم بالله" وأنّ المعرفة فعل القلب، 20/1: رقم الحديث 20.

([2]) انظر: الساعاتي، الفتح الرباني ومعه بلوغ الأماني (14/19).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/ باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، 44/1: رقم الحديث 91.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب في اللقطة/ باب ضالة الإبل، 152/2: رقم الحديث 2427.

بقوله: "وإنما غضب استقصارًا لعلم السائل وسوء فهمه؛ إذ إنه لم يراع المعنى المذكور ولم يتفطن له فقاس الشيء على غير نظيره؛ لأن اللقطة وإنما هو الشيء الذي سقط من صاحبه ولا يُدرى أين موضعه وليس كذلك الإبل فإنها مخالفة للقطة اسمًا وصفة"[1].

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: "سُئِلَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، **فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ**، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: أَبُوكَ حُذَافَةُ، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ، **فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–**"[2].

ويتبين لنا في هذا الحديث أنّ عمر –رضي الله عنه– عندما نظر إلى وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– علم أنه قد غضب من خلال تعبيرات الوجه فقال حينها: إنا نتوب إلى الله.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: "أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فِي شِرَاجِ الحَرَّةِ، الَّتِي يَسْقُونَ بِهَا النَّخْلَ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: سَرِّحِ المَاءَ يَمُرُّ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَاخْتَصَمَا عِنْدَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لِلزُّبَيْرِ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ المَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ **فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–**، ثُمَّ قَالَ: اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ[3]: **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**".[4]

والشاهد فيه قوله: (فتلون وجه رسول الله)؛ أي: كناية عن الغضب كما ذكر ذلك السيوطي[5]، فراوي الحديث علم أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد غضب من خلال تعبيرات وجهه وتلونه الذي دلّ على الغضب.

([1]) شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (190/1).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/ باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره، 45/1: رقم الحديث 92.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المساقاة/ باب سَكْرِ الأنهار، 133/2: رقم الحديث 2359.

([4]) النساء، آية 65.

([5]) انظر: السيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح (1663/4).

وعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– حُلَّةَ سِيَرَاءَ[1]، فَلَبِسْتُهَا، **فَرَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ** فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي"[2].

يظهر لنا من سياق الحديث أنّ تعبيرات الوجه دلّت على الغضب وعدم الرضا.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– قَالَ: "جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَقَالَ: يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا، قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، **فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ**، فَجَاءَهُ أَهْلُ اليَمَنِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ اليَمَنِ، اقْبَلُوا البُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ..."[3].

وفي هذا الحديث يبدو أن وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– قد تغير غضبًا بسبب حرص بني تميم على الدنيا دون الآخرة، فتغير الوجه قد دلّ على الغضب والأسف.

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا **احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ**، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ..."[4].

ونلاحظ هنا –أيضًا– أنّ احمرار الوجه وانتفاخ الأوداج كلها تعبيرات وجه تدل على الغضب الشديد، وذهب جميع شراح الحديث إلى أنّ هذه التعبيرات غير اللفظية كناية عن شدة الغضب.

وعن عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "قَسَمَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– قَسْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– فَأَخْبَرْتُهُ، **فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ**، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"[5]. وفي رواية أخرى: "... **فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ**..."[6].

([1]) قال سيبويه: "ويكون على فعلاءٍ اسما نحو: علباءٍ، وخرشاءٍ، وحرباءٍ. ولا نعلمه جاء وصفاً لمذكر ولا لمؤنث. (سيبويه، الكتاب، 257/4).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها/ باب هديةِ ما يُكْرَهُ لُبْسُهَا، 207/2: رقم الحديث 2614.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب ما جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}، /388: رقم الحديث 3190.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب صفة إبليس وجنوده، 412/2: رقم الحديث 3282.

([5]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، 456/2: رقم الحديث 3405.

([6]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب ما قيل في ذي الوجهين، 171/4: رقم الحديث 6059.

وفي هذا الحديث بدا أثر الغضب واضحًا في وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– بدليل قول الراوي: (حتى رأيت الغضب في وجهه)؛ أي: إنه رأى أثر الغضب من خلال تعبيرات الوجه التي دلّت على ذلك.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ – رضى الله عنه – قَالَ: "بَيْنَمَا يَهُودِىٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِىَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ. فَقَالَ: لاَ وَالَّذِى اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، وَقَالَ تَقُولُ وَالَّذِى اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، وَالنَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَذَهَبَ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَبَا الْقَاسِمِ: إِنَّ لِى ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بَالُ فُلاَنٍ لَطَمَ وَجْهِى، فَقَالَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ فَذَكَرَهُ، **فَغَضِبَ النَّبِىُّ – صلى الله عليه وسلم – حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ**، ثُمَّ قَالَ: لاَ تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِى أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِى"[1].

وفي هذا الحديث –أيضًا– بدا أثر الغضب واضحًا في وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– بحيث أن كل من ينظر إليه يدرك من خلال تعبيرات وجهه أنه قد غضب.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم فَسَلَّمَ، **فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ**، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ..."[2].

وفي هذا الحديث تظهر لنا غيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– على صاحبه أبي بكر – رضي الله عنه– وحبه الشديد له، فنجده قد غضب غضبًا شديدًا لمجرد أنّ عمر أبى أن يسامح أبا بكر –رضي الله عنهما– فتمعّر وجهه غضبًا، فدلّ تمعر الوجه على الغضب الشديد.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ}، 460/2: رقم الحديث 3414.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذًا خليلًا"، 527/2: رقم الحديث 3661.

وعن خَبَّابٍ، يَقُولُ: "أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ **وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ**، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ..."[1].

فدل احمرار وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الموضع على غضبه من قول خباب وشكواه، قال أحمد الشافعي: "فقعد وهو محمرٌ وجهه غضبًا من قول خباب وشكواه"[2].

وعن عُرْوَة بْنِ الزُّبَيْرِ، "أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُهَا إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قَالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسَامَةُ فِيهَا، **تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–** فَقَالَ: «أَتُكَلِّمُنِي فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ..."[3].

فدلّ تلون الوجه في هذا الموضع على الغضب وإنكار شفاعة أسامة بن زيد –رضي الله عنهما– في حد من حدود الله.

وجاء في حديث كعب بن مالك الطويل: "...وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ **تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ**، ثُمَّ قَالَ: تَعَالَ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ..."[4].

خرجت الابتسامة في هذا الموضع عن معناها الحقيقي، فالتبسم في هذا الموضع يحمل معنى الغضب.

ومن الابتسامة التي جاءت لتفيد معنى التبسم في معناه الحقيقي، قول نابغة بني شيبان:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ مِنَ المُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، 23/3: رقم الحديث 3852.

([2]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (53/7).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غَزْوَةِ خيبر، 156/3: رقم الحديث 4304.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، 190/3: رقم الحديث 4418.

وزانَ أنيابَها منها إذا ابتَسَمَتْ أحوى اللِّثَّاتِ شتيتُ نَبْتُهُ رَتِلُ[1]

وحتى من المحدثين، قال ابراهيم طوقان:

يا معين الجمالِ قطرةَ ماءٍ أو أفيضي ابتسامةً تُحييني[2]

وعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–: "أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، **فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ**، فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي، فَقَالَ: انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ المَجَاعَةِ"[3].

بدا أثر الغضب والغيرة واضحًا في وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الموضع، فعائشة –رضي الله عنها– قد علمت ذلك عنه من خلال تعبيرات وجهه الشريف.

عَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ: "دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– وَفِي البَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ، **فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ...**"[4].

فدلّ تلون وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث على غضبه الذي كان من أجل الله، قال القسطلاني: "فتلون أي تغيّر وجهه الشريف غضبًا لله تعالى"[5].

كشفت الدراسة في هذا المبحث عن احتواء الأحاديث النبوية في صحيح البخاري على الكثير من تعبيرات الوجه التي تدل على الغضب، فاحمرار الوجه، وتمعره، وتلونه، وانتفاخ الأوداج، كل هذه تعبيرات وردت في الأحاديث النبوية لتدل على الغضب، وإنّ احتواء الأحاديث النبوية على هذه التعبيرات ليدلل على أهمية اللغة الصامتة في التواصل بين الآخرين، ودليل واضح على أنّ تعبيرات الوجه تعد لغة ذات أهمية كبيرة لا تقل أهمية عن اللغة المنطوقة.

([1]) نابغة بني شيبان، النابغة الشيباني، (ص94).

([2]) إبراهيم طوقان، ديوان ابراهيم طوقان، (ص364).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب النكاح/ باب مَنْ قَالَ: لاَ رَضَاعَ بَعْدَ حَوْلَيْنِ، 496/3: رقم الحديث 5102.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب مَا يَجُوزُ مِنَ الغَضَبِ وَالشِّدَّةِ لِأَمْرِ اللَّهِ، 183/4: رقم الحديث 6109.

([5]) شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (67/9).

المبحث الثاني: حركة الرأس والوجه للدلالة على الخوف والحزن والسرور

تحمل تعبيرات الوجه الكثير من المعاني والدلالات؛ فهي لا تقتصر على معنى الغضب فقط، وقد ورد في صحيح البخاري اثنا عشر حديثًا تدل تعبيرات الوجه فيها على الخوف والحزن والسرور، وهذا ما سيوضحه الباحث فيما يأتي:

المطلب الأول- حركة الرأس والوجه للدلالة على الخوف:

ورد في صحيح البخاري ستة أحاديث تحمل هذه الدلالة، وهي كالآتي:

قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: "كَانَتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ **عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ** النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم-"[1].

نلاحظ أنّ أثر الخوف ظهر في وجه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ودلَّت تعبيرات وجهه الشريف على ذلك، قال حمزة قاسم: "أصابه فزع شديدٌ، وظهرت آثار الخوف والقلق على وجهه الشريف؛ خشية أن تكون تلك الريح إعصارًا مدمِّرًا، أو عقوبة سماوية، كتلك التي وقعت لقوم هود، فكانت عليهم عاصفة شديدة، قلعت أشجارهم وهدّمت ديارهم"[2].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الحَسَنِ، قَالَ: "كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-؛ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ، إِنِّي إِنْسَانٌ إِنَّمَا مَعِيشَتِي مِنْ صَنْعَةِ يَدِي، وَإِنِّي أَصْنَعُ هَذِهِ التَّصَاوِيرَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لاَ أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ صَوَّرَ صُورَةً، فَإِنَّ اللَّهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَدًا، **فَرَبَا الرَّجُلُ رَبْوَةً شَدِيدَةً، وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ**، فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الشَّجَرِ، كُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ"[3].

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء/ باب إذا هبّت الريح، 288/1: رقم الحديث 1034.

([2]) قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (290/2).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/ باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره من ذلك، 90/2: رقم الحديث 2225.

والشاهد من هذا الحديث أنّ الرجل قد ربا –أي علا نفسه وضاق صدره– واصفر وجهه من أثر الخوف، فقد دلّت هذه التعابير الظاهرة في وجهه على ذعره وخوفه الشديد من أن يصيبه عذاب الله الذي أخبره به ابن عباس من حديث رسول –صلى الله عليه وسلم–[1].

وقال أبو هريرة –رضي الله عنه– في الحديث الطويل الذي غُدِرَ فيه سرية من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– من قِبَل بني لحيان فقتلوا بعضًا منهم وأسروا آخرين: "...فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الْحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ، قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَالْمُوسَى بِيَدِهِ، **فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي**، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ..." [2]

والشاهد من هذا الحديث أنّ خبيبًا قد عرف أنّ بنت الحارث قد خافت وفزعت فزعًا شديدًا من خلال تعبيرات وجهها التي دلّت على ذلك.

وعَنْ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا–، قَالَتْ: "كَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، **وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ**، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ عَنْهُ..."[3].

ويدل تغير وجه النبي –صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع على الخوف من عقاب الله –عز وجل–، قال شمس الدين البرماوي: "وتغير وجهه؛ أي: خوفًا أن يُصيب أُمته عُقوبة ذنْب العامَّة"[4].

([1]) انظر: أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (472/4). والسيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح (1583/4).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير/ باب هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر ومن ركع ركعتين عند القتل، 341/2: رقم الحديث 3045.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق/ باب ما جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}، 393/2: رقم الحديث 3206.

([4]) البِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (295/9).

وعن زينب بنت جحش –رضي الله عنها– قالت" **اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ** يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ..."[1].

ودلّ احمرار الوجه في هذا الحديث –أيضًا– على الخوف كما هو واضح من سياق الحديث.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: "قَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ – أُرَاهُ قَالَ – تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ "**فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ**، فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– :مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ..."[2].

وفي هذا الحديث الشريف نجد أنّ الناس قد تغيرت وجوههم خوفًا وفزعًا من هول يوم القيامة، وقد بدا هذا الخوف ظاهرًا على وجوههم عندما أخبرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– بموقف من مواقف يوم القيامة.

ويبدو واضحًا –من خلال الأحاديث السابقة– أنّ أثر الخوف يظهر على الوجه بتغيره، واحمراره، واصفراره.

وتبين –أيضًا مما سبق– أنّ احمرار الوجه، وتغيره يأتي دالًا على الغضب تارة، ودالًا على الخوف تارة أخرى.

المطلب الثاني– حركة الرأس والوجه للدلالة على الحزن:

ورد في صحيح البخاري حديثان يحملان هذه الدلالة، وهما:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفتن/ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب، 445/4: رقم الحديث 7059.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى}، 336/3: رقم الحديث 4741.

عَن عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ: "لَمَّا جَاءَ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرٍ، وَابْنِ رَوَاحَةَ **جَلَسَ يُعْرَفُ فِيهِ الحُزْنُ** ..."[1].

وفي هذا الحديث بدا أثر الحزن واضحًا على وجه النبي –صلى الله عليه وسلم– وذلك لمقتل ثلاثة من أصحابه –رضي الله عنهم–، والحزن الذي بدا في وجهه الشريف هو حزن جبلّي لا تستطيع النفس البشرية أن تخفيه عن الآخرين؛ ولذلك قالت عائشة في الحديث: (يُعْرَفُ) أي: كأنه حاول أن يخفي أو يكظم هذا الحزن؛ لكنه ظهر منه ما لا بد لطبيعة النفس البشرية منه[2].

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ: "أَصَبْتُ شَارِفًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي مَغْنَمٍ يَوْمَ بَدْرٍ ... فَثَارَ إِلَيْهِمَا حَمْزَةُ بِالسَّيْفِ فَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا، – قُلْتُ لِابْنِ شِهَابٍ وَمِنَ السَّنَامِ؟ قَالَ: قَدْ جَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا، فَذَهَبَ بِهَا، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: قَالَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ المَنْظَرَ مِنْهُمَا، فَقُلْتُ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ فَقَالُوا: فَعَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، **فَعَرَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ**..."[3].

والشاهد من هذا الحديث أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد عرف ما في عليّ من حزن من خلال تعبيرات وجهه.

المطلب الثالث– حركة الرأس والوجه للدلالة على السرور:

عندما يشعر الإنسان بالسرور فإننا –غالبًا– نعرف ذلك ونلاحظه من خلال طلاقة الوجه وبشاشته، وورد في صحيح البخاري أربعة أحاديث تحمل هذه الدلالة، وهي:

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الجنائز/ باب مَنْ جلس عند المصيبة يُعْرَفُ فيه الحزن، 360/1: رقم الحديث 1299.

([2]) انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (95/8). وقاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (381/2).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس/ باب فرض الخمس، 355/2: رقم الحديث 3091.

عن كعب بن مالك، قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– **إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ**"[1].

فكانت استنارة وجهه الشريف –صلى الله عليه وسلم– تدل على سروره، وكان الصحابة –رضي الله عنهم– يستدلون على هذا السرور من خلال طلاقة الوجه وبشاشته.

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: "سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا؛ لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، **فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ**، يَعْنِي: قَوْلَهُ"[2].

وفي هذا الحديث أُعجِب النبي –صلى الله عليه وسلم– بكلام المقداد بن الأسود، وأشرق وجهه الشريف سرورًا بذلك.

وعَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ، **فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ**، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–: يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ"[3].

والشاهد من هذا الحديث أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– تبسم وتطلق وجهه وانبسط للرجل الذي جاء ليشتمه، ولم تدلّ طلاقةُ الوجه والانبساط في هذا الموضع على السرور، وإنما

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، 500/2: رقم الحديث 3556.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ. إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العِقَابِ}، 59/3: رقم الحديث 3952.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، 165/4: رقم الحديث 6032.

أراد النبي –صلى الله عليه وسلم– بذلك أن يتألف قلب الرجل للإسلام، فطلاقة الوجه والانبساط –هنا– دلّ على شيء آخر غير السرور[1].

وعَنْ عائشة –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– قَالَتْ: "إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– **دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا، تَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ،** فَقَالَ: "أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ مُجَزِّزًا نَظَرَ آنِفًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ"[2].

وفي هذا الحديث بدا أثر السرور والفرح واضحًا في وجه النبي –صلى الله عليه وسلم–، قال القسطلاني عن سبب هذا السرور: "وسبب سروره –عليه الصلاة والسلام– أن الجاهلية كانت تقدح في نسب أسامة لكونه أسود شديد السواد لكون أمه كانت سوداء وزيد أبيض من القطن، فلما قال مجزز ما قال مع اختلاف اللون سر –صلى الله عليه وسلم– بذلك لكونه كافأ لهم عن الطعن فيه لاعتقادهم ذلك"[3].

وفي ختام هذا المبحث كشفت الدراسة عن وجود دلالات متنوعة ناتجة عن تعبيرات الوجه، كالحزن والخوف والسرور –كما مر آنفًا–، وكشفت أيضًا الغطاء عن عدد الأحاديث التي تحمل هذه الدلالات المتنوعة.

([1]) انظر: السيوطي، التوشيح شرح الجامع الصحيح (3653/8). والبِرْماوي، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (69/15). وشمس الدين الكرماني، الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري (182/21).

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الفرائض/ باب القائف، 357/4: رقم الحديث 6770.

([3]) شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (446/9–447).

المبحث الثالث: دلالات أخرى لحركة الرأس والوجه

تحمل تعبيرات الوجه معاني عديدة ومتنوعة، وقد ورد في صحيح البخاري عددٌ لا بأس به من هذه الأحاديث تحمل دلالات كثيرة لحركة الرأس والوجه، مثل: الحياء، والخشوع، وكراهة شيء، والتعجب من شيء، وحركة الرأس للإجابة عن سؤال، ودلالات أخرى سيوضحها الباحث فيما يأتي:

المطلب الأول- حركة الرأس للإجابة عن سؤال:

عَنْ أَسْمَاءَ –رضي الله عنها–، قَالَتْ: "أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ **فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ** ..."[1].

والشاهد في هذا الحديث أنّ عائشة –رضي الله عنها– قد أجابت عن سؤال أسماء –رضي الله عنها– بتحريك رأسها؛ ليُفهم من ذلك أنه قد حدثت بالفعل آية من آيات الله، فدلت حركة الرأس –هنا– على إجابة السؤال.

وجاء في الحديث المشهور عن إمامة أبي بكر –رضي الله عنه– بالناس في الصلاة عندما مَرِضَ النبي –صلى الله عليه وسلم– "قيل للأعمش: وَكَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– يُصَلِّي وَأَبُوبَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاَتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَةِ أَبِي بَكْرٍ، **فَقَالَ: بِرَأْسِهِ نَعَمْ**"[2].

والشاهد في الحديث أنّ الأعمش قد أجاب برأسه إجابة مفهمة بأنّ أبا بكر كان يصلي بصلاة النبي –صلى الله عليه وسلم– والناس يصلون بصلاة أبي بكر –رضي الله عنه– ونلاحظ في الحديث أن قول الراوي: (فقال برأسه) يفيد بأنّ اللغة الصامتة قد حلّت محل القول المنطوق، فقال برأسه؛ أي: كأنه قال بلسانه.

وعن أنس –رضي الله عنه–: "أَنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ لَهَا، فَقَتَلَهَا بِحَجَرٍ، فَجِيءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَبِهَا رَمَقٌ، فَقَالَ: أَقَتَلَكِ فُلاَنٌ؟ **فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لاَ**، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ، **فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ لاَ**، ثُمَّ سَأَلَهَا الثَّالِثَةَ، **فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَنْ نَعَمْ**، فَقَتَلَهُ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– بِحَجَرَيْنِ"[3].

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم/ باب من أجاب الفُتيا بإشارة اليد والرأس، 42/1: رقم الحديث 86.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأذان/ باب حد المريض أن يشهد الجماعة، 190/1: رقم الحديث664.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الديات/ باب من أَقَادَ بالحجر، 387/2: رقم الحديث 6879.

ونلاحظ في هذا الحديث أن في كل مرة يسأل النبي –صلى الله عليه وسلم– الجارية عن قاتلها وهي في الرمق الأخير، فإنها تجيبه برأسها من دون أن تنطق حتى سمى لها اليهودي فأشارت برأسها بأنه القاتل، ودلَّت إشارة الرأس في هذا الموضع على إجابة بينة ومفهومة. وقد أورد البخاري هذا الحديث في موضع آخر في صحيحه تحت باب سماه (باب إذا أومأ المريض برأسه إشارة بينة جازت)[1].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "صَلَّى النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ، فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ، فَقَتَلَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– المُقَاتِلَةَ، وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةُ، فَصَارَتْ إِلَى دَحْيَةَ الكَلْبِيِّ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا فَقَالَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ لِثَابِتٍ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، آنْتَ قُلْتَ لِأَنَسٍ: مَا أَصْدَقَهَا؟ **فَحَرَّكَ ثَابِتٌ رَأْسَهُ تَصْدِيقًا لَهُ**"[2].

والشاهد في هذا الحديث أن ثابتًا حرّك رأسه للدلالة على تصديق ما سُئِلَ عنه.

المطلب الثاني– حركة الوجه للدلالة على الحياء:

وعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– : كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ المَحِيضِ؟ قَالَ: خُذِي فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَوَضَّئِي ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– **اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ**، أَوْ قَالَ: تَوَضَّئِي بِهَا، فَأَخَذْتُهَا فَجَذَبْتُهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–"[3].

والشاهد في الحديث أنّ إعراض النبي –صلى الله عليه وسلم– بوجهه الشريف دلّ على حيائه، وأوعز إلى عائشة –رضي الله عنها– أن توضح للمرأة مراده؛ إذ لم تفهم المرأة الإجابة بوضوح منه –صلى الله عليه وسلم–.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، (258/2)

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المغازي/ باب غَزْوَةِ خيبر، 132/3: رقم الحديث4200.

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الحيض/ باب غسل الحيض، 102/1: رقم الحديث 315.

المطلب الثالث- حركة الوجه للدلالة على كراهية شيء:

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ **حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ**، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ..."[1].

عندما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- النخامة في المسجد، رئي في وجهه الشريف كراهية ذلك[2].

وعَنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: "أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَامَ عَلَى البَابِ، فَلَمْ يَدْخُلْهُ، **فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ** ..."[3].

والشاهد في الحديث أن عائشة قد عرفت من خلال تعبيرات وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- كراهته للتصاوير التي رآها في المنزل.

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: "سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ خِلاَفَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-فَأَخْبَرْتُهُ، **فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ**، وَقَالَ: كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا"[4].

أي إنه قد بدا على وجهه -صلى الله عليه وسلم- كراهيته للخلاف والجدال الذي وقع بين الرجل وابن مسعود[5]، وقد قال أبو سعيد الخدري -رضي الله عنه- في حديث آخر[6] أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا كره شيئًا عُرف في وجهه.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصلاة/ باب حك البزاق باليد من المسجد، 130/1: رقم الحديث 405.

([2]) انظر: أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (91/2).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/ باب التجارة فيما يُكْرَه لُبْسُهُ للرجال والنساء، 62/2: رقم الحديث 2105.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الغار، 481/2: رقم الحديث 3476.

([5]) انظر: شهاب الدين القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (435/5).

([6]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب المناقب/ باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، 501/2: رقم الحديث 3562.

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ –رضي الله عنه–، قَالَ: "ذَكَرَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا **وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ**، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا **وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ**، –قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلاَ أَشُكُّ– ثُمَّ قَالَ: اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ"[1].

وفي هذا الحديث أعرض النبي –صلى الله عليه وسلم– بوجهه الشريف، ودلالة ذلك كراهيته للشيء الذي ينظر إليه، فهو بدا كأنه ينظر إلى النار وأراد أن يعرض عنها، قال أحمد الشافعي: "أعرض، كأنه ينظر إليها فصرف وجهه كراهية النظر إليها"[2].

المطلب الرابع– حركة الوجه للدلالة على التعجب:

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– العَصْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ **وَرَأَى مَا فِي وُجُوهِ القَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ**، فَقَالَ: ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ تِبْرًا عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يُمْسِيَ أَوْ يَبِيتَ عِنْدَنَا، فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ"[3].

والشاهد في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد عرف أنّ الصحابة قد تعجبوا من دخوله سريعًا على بعض نسائه من خلال تعبيرات وجوههم التي دلّت على تعجبهم.

وعَنِ الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ اللَّيْثِيِّ، "أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِمَارًا وَحْشِيًّا، وَهُوَ بِالأَبْوَاءِ، أَوْ بِوَدَّانَ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ، **فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ** قَالَ: إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ"[4].

والشاهد من الحديث، أنه لما رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– تعبيرات وجه الصعب بن جثامة التي تدل على تعجبه، أخبره النبي –صلى الله عليه وسلم– عن سبب رده للحمار الوحشي.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب/ باب طيب الكلام، 163/4: رقم الحديث 6023.

([2]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (424/9).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة/ باب يفكر الرجل الشيء في الصلاة، 338/1: رقم الحديث 1221.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد/ باب إذا أهدى للمحرم حمارًا وحشيًّا حيًّا لم يَقْبَلْ، 508/1: رقم الحديث 1825.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–، قَالَ: "جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، **فَضَحِكَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ...**"[1].

والشاهد في هذا الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– ضحك تصديقًا لقول الحبر، والضحك في هذا الموضع له دلالة معينة وضحها أحمد الشافعي بكلام جميل قائلًا: "إنما ضحك تعجبًا من جهل اليهودي، فإنه استعظم هذا الفعل من الله تعالى، وخفي عليه أن إيجاد هذه الأشياء من العدم أغرب وأعظم"[2].

المطلب الخامس– حركة الوجه للدلالة على الجوع:

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُكْنَى أَبَا شُعَيْبٍ، فَقَالَ لِغُلاَمٍ لَهُ قَصَّابٍ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– خَامِسَ خَمْسَةٍ، **فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الجُوعَ**، فَدَعَاهُمْ، فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– : إِنَّ هَذَا قَدْ تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، فَأْذَنْ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعَ، فَقَالَ: لاَ، بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ"[3].

والشاهد في الحديث أنّ أبا شعيب قد عرف بأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قد أصابه الجوع من خلال تعبيرات وجهه الشريف.

المطلب السادس– حركة الوجه للدلالة على الخشوع:

وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ:"كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ **عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الخُشُوعِ**، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ..."[4].

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}، 359/3: رقم الحديث 4774.

([2]) أحمد الشافعي، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري (251/8).

([3]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب البيوع/ باب ما قيل في اللَّحَّام والجزَّار، 55/2: رقم الحديث 2081.

([4]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار/ بَابُ مناقب عبد الله بن سلام–رضي الله عنه–، 14/3: رقم الحديث 3813.

نلاحظ أنّ سمة الوجه تُعطي انطباعًا عن صاحبه في كثير من الأحيان، وفي هذا الحديث لاحظ قيس بن عباد الخشوع والسمت الحسن في وجه الرجل الذي دلّ على صلاحه وحسن أخلاقه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–: "أَصَابَنِي جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَلَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، فَاسْتَقْرَأْتُهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، فَدَخَلَ دَارَهُ وَفَتَحَهَا عَلَيَّ، فَمَشَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَخَرَرْتُ لِوَجْهِي مِنَ الجَهْدِ وَالجُوعِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، **فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَقَامَنِي وَعَرَفَ الَّذِي بِي**، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَحْلِهِ..."[1].

وفي رواية أخرى: "...**فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي**"[2].

وفي هذا الحديث نجد أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قد عرف أن أبا هريرة قد أصابه الجوع، وذلك من خلال تعبيرات وجهه وهزلانه كما هو واضح من سياق الحديث.

تبين –للباحث– في ختام هذا المبحث وهذا الفصل كله أنّ حركة الرأس لم تأت في أحاديث صحيح البخاري إلا للدلالة على إجابة سؤال –كما مر–، وأنّ جميع الدلالات الأخرى جرى التعبير عنها بحركة الوجه، واتضح أنّ في صحيح البخاري دلالات كثيرة ومتنوعة ناتجة عن حركة الرأس والوجه، وأظهرت الدراسة –أيضًا– أنّ تعبيرات الوجه تحمل –في كثير من الأحيان– دلالات أبلغ من اللفظ، والكلام المنطوق.

([1]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأطعمة/ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} وَقَوْلِهِ: {أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ} وَقَوْلِهِ: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}، 5/4: رقم الحديث 5375.

([2]) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق/ باب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ، وَتَخَلِّيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، 276/4: رقم الحديث 6452.

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وصحبه وكل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وفي نهاية هذه الدراسة سأتحدث عن أهم نتائجها، إضافة إلى عدد من التوصيات بناءً على عملية البحث والاستقصاء في هذا الموضوع.

أولًا– النتائج:

وتتلخص النتائج في الآتي:

1– تتعدد صور التواصل بين البشر، والتي لا تقتصر على الكلام المنطوق فحسب، بل إنّ اللغة الصامتة لها أهمية كبيرة لا تقل أهميتها عن الكلام المنطوق.

2– كشفت الدراسة عن اهتمام السنة النبوية الشريفة باللغة الصامتة، وأظهرت استعمال النبي –صلى الله عليه وسلم– لهذه اللغة في كثير من المواقف؛ من أجل إيصال دلالة معينة.

3– تعددت أنماط اللغة الصامتة في صحيح البخاري؛ حيث يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام رئيسة: أولها لغة العيون، وثانيها إشارات اليد، وثالثها تعبيرات الوجه والرأس، ورابعها حركة الرجل ودلالاتها.

4– إنّ إهتمام بعض المحدثين بمفهوم اللغة الصامتة فتح المجال أمام الباحثين للتوسع في البحث حول هذا الموضوع.

5– تبيّن للباحث وجود قواسم مشتركة بين مفهوم اللغة الصامتة، ومفهوم السيمياء.

6– للغة العيون في صحيح البخاري دلالات متنوعة، وهي دالة البكاء بمعانيه المختلفة، ودالة الغمز، ودالة الاحتضار، ودالة التتبع، ودالة الإعراض، ودالة طلب الشيء.

7– أثبتت الدراسة بأنّ إشارات اليد وتعبيرات الوجه من أكثر الإشارات الجسمانية شيوعًا في اللغة الصامتة، فلإشارات اليد أهمية كبيرة في إيضاح الكلام المنطوق، ولا يمكن المتكلم – عادة– الاستغناء عن حركة اليد؛ ليعبر عما في نفسه، وتشكل تعبيرات الوجه أول انطباع يلفت نظرك عند مقابلتك لشخص ما لأول مرة.

8- حرَص النبي –صلى الله عليه وسلم- على تنويع طرق إيصال المعاني للسامع، فلم يقف عند حد الكلام المنطوق، وإنما تضمن صحيح البخاري مواقف للنبي –صلى الله عليه وسلم- تم فيها توظيف اللغة الصامتة، وبيان أهمية هذا النوع من التواصل.

9- يُستدل من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة في صحيح البخاري على إقرار النبي صلى الله عليه وسلم بأهمية اللغة الصامتة وضرورة توظيفها في العملية التواصلية بين البشر.

10- إنّ اللغة الصامتة تلعب دورًا كبيرًا في إقناع الآخرين والتأثير فيهم وإيصال الأفكار إليهم.

11- حذر النبي-صلى الله عليه وسلم- من ممارسة بعض الهيئات الجسدية التي تعود بالضرر على من يمارسها، والحط من قيمته عند الناس في الدنيا، ودنو منزلته في الآخرة، مثل المشي بكبر وخيلاء. هذه أهم النتائج التي تُوصِّل إليها في هذه الدراسة.

ثانيًا- التوصيات: أما المقترحات والتوصيات فيمكن إجمالها في الآتي:

1- موضوع اللغة الصامتة من الموضوعات المهمة، حيث لا يكاد يمر علينا يوم إلا ونستخدم فيه هذه اللغة باستمرار، وعليه ينبغي للباحثين والدارسين إيلاء هذا الموضوع أهمية كبيرة وتوسيع دائرة البحث فيه.

2- ضرورة وضع مساقات علمية في الجامعات والمعاهد في أقسام اللغة العربية ضمن خطة المساقات؛ من أجل لفت أنظار طلبة العلم إلى أهمية هذا الموضوع.

3- حث المعلمين والمربين وسائر فئات المجتمع على استخدام أساليب اللغة الصامتة في التدريس، من خلال بيان دلالاتها، وتوضيح وظائفها التعليمية، ومن خلال تصميم برامج تدريبية للمعلمين والدعاة وسائر الفئات لمساعدتهم في استخدام اللغة الصامتة في خطابهم التعليمي والدعوي.

4- كذلك لا بد من لفت الأنظار إلى أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم- قد استخدم اللغة الصامتة في مواقف كثيرة؛ لذا لا بد من ضرورة الاقتداء بالنبي –صلى الله عليه وسلم- في مثل هذه المواقف.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أحمد الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي. (د.ت). *الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني*. ط2. د.م: إحياء التراث العربي.

أحمد الشافعي، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي ثم الحنفي. (1429هـ -2008م). *الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري*. تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أيوب، عبد الرحمن. (1968م). *أصوات اللغة*. ط2. مصر: مطبعة الكيلاني.

باي، ماريو. (1419هـ -1998م) *أسس علم اللغة*. ترجمة: أحمد مختار عمر. ط8. مصر: عالم الكتب.

بدر الدين العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي. (د.ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

برابارابيس، آلان. (2011م). *لغة الجسد*. ترجمة: عبد الحكم أحمد الخزامي. ط1. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

بنكَراد، سعيد. (2012م). *السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها*، ط3. سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1429هـ -2008م). *البيان والتبيين*. تحقيق: درويش جويدي. د.ط. بيروت: المكتبة العصرية.

الجبر، خالد عبد الرؤوف. (حزيران 2015م). لغة الجسد في التراث العربي. *مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات*. 2 (36).

جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1419هـ -1998م). *التوشيح شرح الجامع الصحيح*. تحقيق: رضوان جامع رضوان. ط1. الرياض: مكتبة الرشد.

جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. د.ط. بيروت: دار الفكر.

ابن أبي سلمى، زهير. (1408هـ-1988م). ديوان زهير بن أبي سلمى. شرحه وقدم له: علي حسن فاعور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر. (2009م). ديوان النابغة الذبياني. ط1. تونس: دار سحنون.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د.ت). *الخصائص*. تحقيق: محمد علي النجار. د.ط. بيروت: عالم الكتب.

ابن ثابت، حسان بن ثابت الأنصاري. (1974م). ديوان حسان بن ثابت. تحقيق وتعليق: وليد عرفات. د.ط. بيروت: دار صادر.

حجازي، محمود فهمي. (2003م). *أسس علم اللغة العربية*. د.ط. مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: عبد العزيز بن باز. د.ط. بيروت: دار المعرفة.

ابن العبد، طرفة، (1423هـ-2002م). ديوان طرفة بن العبد. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. ط3. د.م: دار الكتب العلمية.

الحسن، ربحي محمد. (رجب 1409هـ -فبراير 1989م). الاتصالات غير اللفظية وأهميتها في الإدارة. *الإدارة العامة*. ع61.

الحسيني، إسحاق. (1400هـ -1980م). اللغة الصامتة. *مجلة مجمع اللغة العربية*. ج45.

الحموز، عبد الفتاح. (1432هـ -2011م). *سيميائية التواصل والتفاهم في التراث العربي القديم*. ط1. الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.

أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث. (د.ت). سنن أبي داود. د.ط. بيروت: دار الكتاب العربي.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السّلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي. (1417هـ -1996م). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. تحقيق: ثمانية محققين، ط8. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.

الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد. (2002م). *دليل الناقد الأدبي*. ط3. المغرب: المركز الثقافي العربي.

الزبيدي، محمد مرتضى. (1306هـ،). *تاج العروس من جواهر القاموس*. ط1. بيروت: دار مكتبة الحياة.

الزبيدي، محمد مرتضى. (د.ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة من المحققين، د.ط. د.م: دار الهداية.

الزمخشري، العلامة جار الله محمود بن عمر. (د.ت). الفائق في غريب الحديث. د.ط. د.م. د.ن.

زكريا الأنصاري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي. (1426هـ -2005م). *منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى تحفة الباري*. تحقيق: سليمان العازمي. ط1. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.

السبكي، محمود محمد خطاب. (1351 -1353هـ). *المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود*. تحقيق: أمين محمود محمد خطاب. ط1. مصر: العديد من دور النشر.

السرغيني، محمد. (1407هـ -1987م). *محاضرات في السيميولوجيا*. ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

السعران، محمود. (د.ت). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي*. د.ط. بيروت: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

الشافعي، محمد بن إدريس، (د.ت). ديوان الامام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر محمد بن ادريس. إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، د.ط. القاهرة: مكتبة ابن سينا.

الشيباني، نابغة بني شيبان. (2000م). ديوان النابغة الشيباني. د.ط. مصر: دار الكتب المصرية.

سكر، ماجد رجب العبد. (يونيو 2014م). لغة الجسد وأدواتها في القرآن الكريم. *مجلة جامعة الأمة*. ع4.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو بشر. (1408هـ-1988م). الكتاب. تحقيق: عبد السلام هارون. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي.

شاكر، جودت. (2012م -1433هـ). *الاتصال في علم النفس*. ط1. عمان: دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

شاهين، عبد الصبور. (1413هـ -1993م). *في علم اللغة العام*. ط6. بيروت: مؤسسة الرسالة.

شمس الدين البِرْماوي، أبو عبد الله محمد بن عبدالدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي. (1433هـ -2012م). *اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح*. تحقيق: لجنة مختصة من المحققين. ط1. سوريا: دار النوادر.

شهاب الدين القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس. (1323هـ). *إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*. ط7. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.

شولز، روبرت. (1994م). *السيمياء والتأويل*. ترجمة: سعيد الغانمي. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

صفوت، أحمد زكي. (د.ت). جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة. د.ط. بيروت: المكتبة العلمية.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد. (1420هـ –2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط1. د.م: مؤسسة الرسالة.

عبد التواب، رمضان. (1417هـ –1997م). *التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه*. ط3. مصر: مكتبة الخانجي.

عبد العزيز، محمد حسن. (د.ت). *سوسير رائد علم اللغة الحديث*، د.ط. مصر: دار الفكر العربي.

ابن العثيمين، محمد بن صالح. (1427هـ –2006م). *فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام*. تحقيق: صبحي رمضان، وأم إسراء بيومي. ط1. د.م: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع.

أبو عرقوب، إبراهيم. (1993م). *الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي*. ط1. الأردن: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

علي القاري، علي بن محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري. (1422هـ –2002م). *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط1. بيروت: دار الفكر.

أبو عياش، نضال. (2005م). *الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق*. ط1. العروب: كلية فلسطين التقنية.

غباري، محمد سلامة، وعطية، السيد عبد الحميد. (1991م). *الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق*. د.ط. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.

القرطبي، أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (د.ت). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد إبراهيم الحفناوي، ومحمود حامد عثمان. د.ط. القاهرة: دار الحديث.

قاسم، حمزة محمد. (1410هـ -1990م). *منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري*. راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط. د.ط. دمشق: مكتبة دار البيان.

قاسم، سيزا، وأبو زيد، نصر. (د.ت) *أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيميوطيقا*. د.ط. القاهرة: دار إلياس العصرية.

طوقان، إبراهيم. (1997م). ديوان إبراهيم طوقان. د.ط. بيروت: دار العودة.

المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري. (1404هـ -1984م). *مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*. ط3. الهند: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء.

المَعَرّي، أبو علاء. (د.ت). ديوان أبي علاء المعري. د.ط. د.م. نسخة المكتبة الشاملة غير موافِقة للمطبوع.

محمد الشافعي، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العلوي الهروي الشافعي. (1430هـ - 2009م). *الكوكب الوهّاج شرح صحيح مسلم*. مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي. ط1. د.م: دار المنهاج.

محمد الشنقيطي، محمد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي. (1415هـ - 1995م). *كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري*. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

محمد، محمود رشاد. (2011م). لغة الجسد بين الإسلام والدراسات التنموية البشرية وأثرها على المدعو. *حولية كلية الدعوة الإسلامية*. 2 (25).

ابن المَلَك محمد الرومي، محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فِرِشْتَا، الرومي الكرماني. (1433هـ -2012م). *شرح مصابيح السنة للإمام البغوي*. تحقيق: لجنة بإشراف نور الدين طالب. ط1. د.م: إدارة الثقافة الإسلامية.

أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

أبو منصور الأزهري، محمد بن أحمد. (د.ت). *تهذيب اللغة*. تحقيق: الأستاذ أحمد عبد العليم البردوني. د.ط. د.م: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي. (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

وافي، علي عبد الواحد. (1403هـ-1983م). *اللغة والمجتمع*. ط4. السعودية: شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (1414هـ،1993م). *معجم الأدباء= إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تحقيق: إحسان عباس، ط1. بيروت: دار المغرب الإسلامي.

الفهارس العامة

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

مسلسل	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
.1	الحشر	﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ.....﴾	7	1
.2	الفتح	﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾	29	16، 62
.3	الأحزاب	﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ...﴾	19	20
.4	الزمر	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾	30	25
.5	آل عمران	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...﴾	144	25
.6	البينة	﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	1	29
.7	النساء	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ...﴾	41	30
.8	الكهف	﴿لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	77	42

فهرس الأحاديث الشريفة

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
.1	من قال يوم الجمعة والإمام يخطب	9
.2	وهل يَكبُّ الناسَ على مناخرهم	14
.3	إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ	24
.4	أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ	24
.5	قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَكَانَ خَيْرًا مِنِّي	24
.6	أُصَبْتُ شَارِفًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَغْنَمٍ يَوْمَ بَدْرٍ	25
.7	فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ المَنْظَرَ مِنْهُمَا	25
.8	يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟	25
.9	أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم	26
.10	مَرَّ أَبُو بَكْرٍ، وَالعَبَّاسُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ وَهُمْ	27
.11	لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَبْكِي	27
.12	وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ	27
.13	أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم	28
.14	تَعْرِفِينَ فُلاَنَةَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ	28
.15	دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بِدِمَشْقَ وَهُوَ يَبْكِي	29
.16	وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ ...	29
.17	"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ	30
.18	سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى أَحْفَوْهُ المَسْأَلَةَ	30
.19	بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-	30
.20	إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾	31

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
.21	قَالَ لِي النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عَلَيَّ»	31
.22	أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ	32
.23	أَنَّ عَائِشَةَ، حُدِّثَتْ: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، قَالَ: فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ	33
.24	بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ	34
.25	دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ	34
.26	شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ قَالَ: "فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى" ثَلاَثًا	35
.27	... ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بِعَيْنَيْهِ	36
.28	إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي	36
.29	فَإِذَا قَذَفَ الأَخْرَسُ امْرَأَتَهُ	39
.30	ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ؟ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ	41
.31	يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ	42
.32	أَمَّا أَنَا فَأُفِيضُ عَلَى رَأْسِي ثَلاَثًا	42
.33	إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ	42
.34	لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ – أَوْ أَحَدًا مِنْكُمْ	42
.35	أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ	43
.36	قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	43
.37	الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا	44
.38	فَانْطَلَقَا، فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ – قَالَ سَعِيدٌ: بِيَدِهِ هَكَذَا، وَرَفَعَ يَدَيْهِ	44
.39	كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ– صلى الله عليه وسلم– فَلَمَّا أَبْصَرَ	45
.40	أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا	45
.41	... فَلَمَّا خَرَجَا مِنَ البَحْرِ مَرُّوا بِغُلاَمٍ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ	46

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
.42	"إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ	46
.43	رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا	47
.44	وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا	47
.45	أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الأَنْصَارِ	47
.46	قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: رَجُلٌ لاَعَنَ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ	49
.47	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– نَهَى عَنِ الحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا	49
.48	لاَ يَزْنِى الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِى وَهْوَ مُؤْمِنٌ	49
.49	إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ	50
.50	كُنَّا فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–	51
.51	بَيْنَمَا النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ	52
.52	فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَصَلَّى فَوَجَدَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–	53
.53	صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٍ	53
.54	كُنْتُ أَمُدُّ رِجْلِي فِي قِبْلَةِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–	54
.55	أَنَّ يَعْلَى كَانَ يَقُولُ: لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ	54
.56	وَأُجْلِسَ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم	54
.57	رَأَيْتُنِي أَنَا وَالنَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– نَتَمَاشَى	55
.58	عَنْ كَعْبٍ، أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي المَسْجِدِ	55
.59	صَلَّى لَنَا النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– ثُمَّ رَقِيَ المِنْبَرَ	55
.60	سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–	56
.61	رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يُشِيرُ إِلَى المَشْرِقِ	56
.62	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ	56

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
.63	أنّ أم سلمة –رضي الله عنها– أرادت أن تسأل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن ركعتين	57
.64	لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– جَاءَ أَبَا بَكْرٍ مَالٌ	58
.65	وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الخَيْلِ	58
.66	أَخْبَرَنَا صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ– وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ	58
.67	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– جَاءَ إِلَى السِّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى	59
.68	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– لَمَّا رَجَعَ يَوْمَ الخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلاَحَ	59
.69	لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ	61
.70	صَعِدَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ	61
.71	كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ	61
.72	سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ: إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ	62
.73	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ	63
.74	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا أَمَرَهُمْ	67
.75	أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ	67
.76	فَتَمَعَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم	67
.77	سُئِلَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا	68
.78	أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ خَاصَمَ الزُّبَيْرَ عِنْدَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم	68
.79	أَهْدَى إِلَيَّ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– حُلَّةَ سِيَرَاءَ	69
.80	جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم	69
.81	كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم	69
.82	قَسَمَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– قَسْمًا	69

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
.83	بَيْنَمَا يَهُودِىٌّ يَعْرِضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ	70
.84	أَتَيْتُ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً	70
.85	أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم	71
.86	وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَادِمًا	71
.87	أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ	72
.88	دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– وَفِي البَيْتِ قِرَامٌ فِيهِ صُوَرٌ	72
.89	كَانَتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ	73
.90	كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–؛ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ	73
.91	"...فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ	74
.92	كَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ	74
.93	اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ	74
.94	قَالَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم–: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ	74
.95	لَمَّا جَاءَ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَتْلُ ابْنِ حَارِثَةَ	75
.96	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ	76
.97	سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا	76
.98	أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– فَلَمَّا رَآهُ قَالَ	77
.99	إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– دَخَلَ عَلَيَّ مَسْرُورًا	77
.100	أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ	79
.101	قيل للأعمش: وَكَانَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– يُصَلِّي وَأَبُوبَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ	79
.102	أَنَّ يَهُودِيًّا قَتَلَ جَارِيَةً عَلَى أَوْضَاحٍ لَهَا، فَقَتَلَهَا بِحَجَرٍ	79
.103	صَلَّى النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بِغَلَسٍ	80

مسلسل	طرف الحديث	الصفحة
104.	أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ	80
105.	أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ	81
106.	أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرُ	81
107.	سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ خِلاَفَهَا	81
108.	ذَكَرَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ	81
109.	صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– العَصْرَ	82
110.	"أَنَّهُ أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِمَارًا وَحْشِيًّا	82
111.	جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–	82
112.	جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُكْنَى أَبَا شُعَيْبٍ، فَقَالَ لِغُلاَمٍ لَهُ قَصَّابٍ	83
113.	كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ	83
114.	أَصَابَنِي جَهْدٌ شَدِيدٌ، فَلَقِيتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ	83
115.	فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي	84

فهرس الأبيات الشعرية:

مسلسل	صدر البيت	الصفحة
.1	ما إن رأيتُ من مـُعَنَّيــاتٍ	12
.2	وكلُّ صَمُوتٍ نَثْلَةٍ تُبَعِيَّةٍ	13
.3	قالوا سَكَتَّ –وقد خُوصمت–؟ قلت لهم	13
.4	والصمت عن جاهلٍ أو أحمق شرفٌ	13
.5	أمَا ترى الأُسْدَ تُخْشَى وهي صامتةٌ	13
.6	وجدتُ سُكُوتي متجراً فلزمتُهُ	13
.7	وما الصَّمتُ إلا في الرجال متاجر	13
.8	وأصمتُ صَمتاً لا تكلُّمَ بَعدَهُ	13
.9	غلام رماه الله بالحسن يافعًا	17
.10	العين تبدي الذي في قلب صاحبـها	22
.11	إنّ البغيــض له عين تكشّفـــه	22
.12	فالعيـن تنطــق والأفــواه صامتة	22
.13	أشارت بطرف العين خيفة أهلها	22
.14	فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا	22
.15	وعين الفتى تبدي الذي في ضميره	22
.16	وتَرمِينَني بالطَّرْفِ أيْ أَنتَ مُذْنبٌ	22
.17	ما بالُ عَيني دَمعُها ذَرِيفٌ	25
.18	عَينيَّ جُودا بالدُّموعِ الذَّوارفِ	25
.19	قَومٌ هُمُ شَهِدوا بَدراً بِأَجمَعِهِم	47
.20	وَبايَعوهُ فَلَم يَنكُث بِهِ أَحَدٌ	47

مسلسل	صدر البيت	الصفحة
.21	وَيَومَ صَبَّحَهُم في الشِبِ مِن أُحُدٍ	47
.22	وَيَومَ ذي قَرَدٍ يَومَ اِستَثارَ بِهِم	48
.23	وَذا العَشيرَةِ حاسوها بِخَيلِهِمُ	48
.24	وَيَومَ وَدّانَ أَجلَوا أَهلَهُ رَقَصاً	48
.25	وَلَيلَةً طَلَبوا فيها عَدُوَّهُمُ	48
.26	وَغَزوَةً يَومَ نَجدٍ ثَمَّ كانَ لَهُم	48
.27	وَلَيلَةً بِحُنَينٍ جالَدوا مَعَهُ	48
.28	وَغَزوَةَ القاعِ فَرَّقنا العَدُوَّ بِهِ	48
.29	وَيَومَ بُويِعَ كانوا أَهلَ بَيعَتِهِ	48
.30	وَغَزوَةَ الفَتحِ كانوا في سَرِيَّتِهِ	48
.31	وَيَومَ خَيبَرَ كانوا في كَتيبَتِهِ	48
.32	بِالبيضِ تَرعَشُ في الأَيمانِ عارِيَةً	48
.33	وَيَومَ سارَ رَسولُ اللهِ مُحتَسِباً	48
.34	وَساسَةُ الحَربِ إِن هَربٌ بَدَت لَهُمُ	48
.35	أولَئِكَ القَومُ أَنصارُ النَبِيِّ وَهُم	48
.36	ماتوا كِراماً وَلَم تُنكَث عُهودُهُمُ	48
.37	فَإِنْ متُّ فَانْعِينِي بما أنا أهلُهُ	51
.38	لِسَانُ الفتى نِصْفٌ ونِصفٌ فؤَادُهُ	51
.39	وزانَ أنيابَها منها إذا ابتَسَمَتْ	71
.40	يا معين الجمالِ قطرةَ ماءٍ	72